٥١٩

519

دار م. للنحاس

HARLEQUIN

WWW.REWITY.COM

مرمورية

وانتصر الحب أخيراً

آن ميذر

وانتصر الحب أخيراً

آن ميذر

كانت انديا تحب ناتان كاتريك باعتباره أخاً لها. لكنها لم ترَه منذ ثماني سنوات اثر افتضاح علاقته مع أمها، والتي ما زالت أخبارها تدور على ألسنة الناس.

بعد وفاة أبيه الذي تبرأ منه، عاد ناتان إلى جزيرة طفولته الخلابة في البهاماس، لكن هذه المرة بصفته الوريث الوحيد.

وأسوأ ما في الأمر أنه ما زال يحب أخته انديا ابنة زوجة ابيه الثانية. وقد صمم كما يبدو على امتلاك الجزيرة وحبيبته في آن معاً.

«أما زلت تحبينني؟»

تعمد ناتان إحراجها بسؤاله هذا. اجابت على الفور: «طبعاً أحبك.»

حدق فيها متأثرا بنبلها وطيبتها. فكيف يمكن أن تحب من استخف بها وخان العائلة كلها، على حد قول أمها؟ أوضحت له ببساطة: «أنت أخي.» شعر ناتان حينها كأنه تلقى صفعة على وجهه.

آن ميذر

بدأت آن ميذر الكتابة في سن التلمذة. طورت فن القصة الذي برعت فيه، من القصص العاطفية الحارة التي تستهوي المراهقين الى الرواية الاكثر عمقا وتحليلاً التي تجتذب الكبار.

الكاتبة متزوجة، لها ولدان وتعيش في شمالي انكلترا. هواياتها، بالاضافة إلى كتابة وقراءة القصص، قيادة السيارات والسفر الى أماكن شتى حيث تجد اطارا لرواياتها.

تعتبر ميذر نفسها سعيدة لأنها تقوم بعمل تحبه وتعيش منه في بحبوحة.

عزيزي القارىء

مع مطلع عام ١٩٩٤، انضمت الى سلسلة عبير، سلسلة جديدة بعنوان قلوب عبير. ويسرنا أن ننشر هذه السلسلة بغية ارواء شغفك للقراءة وحبك لمطالعة أدب بات الأدب الأكثر رواجاً في عالم اليوم.

ونحن، إذ ننشر اليوم هذه السلسلة الجديدة، نعدك دوماً وكسابق عهدنا، بانتظام اصداراتنا من قلوب عبير بمعدل ٥ روايات شهرياً لتكون سلواك في أوقات متعتك الخاصة.

كما نعدك ببذل الجهد المتواصل من أجل إطلاعك دائماً باللغة العربية على أحدث ما يصدر في هذه السلسلة العالمية وعن لغة الأصل: الانكليزية.

إن رفع وتيرة الاصدار والزيادة في تنويع المواضيع وألوانها إنما هما هاجسنا الدائم.

ولا تنس يا عزيزي القارىء، أن طبعة قلوب عبير هذه التي أردناها لائقة بك وبذوقك، إنما هي النسخة الأصلية.

وقوفك إلى جانبنا، إنما يعبر عن اخلاصك لنفسك وذوقك وحرصاً على وقتك الذي نوظفه لك في مجال أدبي ثقافي، مفيد وممتع.

إن وقوفك معنا يوفر لنا الدعم والمناخ اللذين لا بد منهما للمضي قدماً في رحلة العطاء الدائم والتجديد والتنويع...

الناشر

www.rewity.com

انتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه، فاي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

TENDER ASSAULT

Copyright © by Anne Mather 1993

ISBN 0-263-78257-3

Mills & Boon first edition October 1993

الطبعة العربية الاولى عن مؤسسة النحاس ١٩٩٥

عنوان الطبعةالعربية

وانتصر الحب أخيراً بقلم آن ميذر

ترجمة: لويس عطوي

سلسلة قلوب عبير ٥١٩

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لمؤسسة النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات – بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).
جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية. يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً باي شكل وباي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها باي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.
كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة باي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: مؤسسة النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات. بيروت. لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق التاسع. ص.ب: ١١/٩٧١٨. فاكس ٨٦٦٤٩٩. هاتف: ٨٦٦٤٩٨. ٨٦٥٣٧١. سجل تجاري: ٧٥١٠. بيروت. تسجيل العلامات التجارية في وزارة الاقتصاد دار م. النحاس للنشر ٥٩٤٣٩

الفصل الاول

كانت طائرة «السسنا» في انتظاره عندما هبط في مطار ناسّو. لم يكن متأكداً منها، لكن، عندما مشى في باحة الجمارك، رأى وجه شخص لم يألفه من قبل؛ كان في انتظاره حاملاً بطاقة عليها اسمه. تساءل لماذا لم يأت سام نيفيس للقائه. فالطيّار الذي استخدمه والده لعشرين سنة خلت، لم يصل بعد بالتأكيد إلى سنّ التقاعد. لكن تذكّر أنه لم يعد يعرف شيئاً عن اعمال والده منذ مدة طويلة. وسام نيفيس مثل كثيرين غيره، أصبح مجرد اسم تسلّل إليه من الماضي.

الطائرة أيضاً لم يكن يعرفها. فالطائرة القديمة ذات المحرك التوربيني الوحيد، استبدلت بأخرى حديثة ذات محركين، مزودّة بأحدث وسائل الراحة. بالطبع، كان زائرو جزيرة بليكان يتمتعون أكثر من غيرهم بوسائل الراحة والترفيه المتوفرة في الجزيرة. ولتأمين طلبات هؤلاء الزبائن، كان لا بدّ من تطوير المرافق السياحية باستمرار.

هذا ما فكر فيه عندما جلس على أحد المقاعد المخملية الوثيرة في الطائرة. وكان لظنّه هذا ما يبرّره، اذ كان قد قرأ اعلانات دعائية للجزيرة في أماكن بعيدة عنها، مثل لندن وسيدني ونيويورك وطوكيو. كان يشعر حتى بشيء من الاعجاب بشركة والده، برغم أنه كان يظنّ أن آديل كانت القوة الموجهة للشركة.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة عندما فكرّ أن كل ما

سعت آديل من أجله سيضيع هباء. ترى، كيف يكون شعورها وهي تعلم أن الرجل الذي حاولت تدميره أصبح في امكانه الآن أن يدمر كل أحلامها. إنه ذلّ ما بعده ذلّ. لم يستطع قط أن يفهم ما الذي دفع أباه للتصرف بهذا الشكل. الا اذا...

لكن، لِمَ التفكير في خلفيات وصيّة أبيه؟ ان حصّته من الارث كافية ولا حاجة لإعادة النظر في أمر قد يثبت في النهاية أنه خطأ مقصود. ومن الممكن جداً أن يكون أبوه قد كتب وصيّة أخرى. لكن، أين موقع اخته أنديا في هذا التخطيط العبثي للامور؟

أجال يداً متعبة في شعره الأجعد الفاحم، وقد كرر هذه الحركة مراراً أثناء الرحلة إلى نيويورك، بحيث لم يفاجأ بمنظر شعره الطويل الأشعث وفكّر أن عليه أن يقصه، بل كان عليه ان يفعل ذلك قبل رحلته الأخيرة إلى انكلترا. ولا عجب إذا نظر إليه طيّار «السسنا» باستغراب عندما التقاه في المطار. فقميص الأوكسفورد والجينز والحفان اللذان كان ينتعلهما، أظهرته بمظهر ذلك النوع من السيّاح المرغوب فيهم في فندق كاتريك.

حفّ شعر ذقنه الخشن براحة يده، عابساً، ورأى أن عليه الانتظار وقضاء ليلة خارج البيت ليغير من منظره، قبل أن يدخل على زوجة أبيه واخته. أصبح في امكانه العودة. فوالده قد مات، خبر وفاته ما زال يؤلمه، لكن لم يعلم به في الوقت المناسب، ولم يكن مضطراً للحجز في أول طائرة إلى البهاماس، كأن حكماً مبرماً يستدعي وصوله فوراً. كان لديه كل الوقت للمطالبة بإرث ما زال غير مصدق أنه يعود له. وعندما عاد من كندا ووجد البرقية في انتظاره، فكّر ملياً

قبل ان يقرر السفر، اذ أن ذلك لم يكن وارداً في مفكرته.

سرح نظره خارج النافذة متسائلاً، لماذا بعد كلّ تلك السنين، ما زال يجفل عندما يفكر في البيت العائلي؟ كأنه لم يكن بيته في السنوات الثماني الماضية. يجب ألا ينسى أن أباه كان قد طرده ظلماً، وأن انديا صدقت كل كلمة قالتها أمها بحقه. فهل كان في إمكانه أن يشعر بالحنين لهذا البيت؟ لم يكن حتى متأكداً من رغبته في العودة.

لكن الظروف الحاضرة تتطلب منه أن يثبت وجوده على الأقل. وعلى أية حال، لن يحظى كلّ يوم باجازة سياحية من الدرجة الاولى، تقدّم له مجاناً. عليه أن ينسى احتمال وجود عدد من المحامين والمحاسبين ومستشاري العلاقات العامة لمعالجة المشكلات اليومية للفندق والمجمّع السياحي في الجزيرة. لقد أنشأ والده هذا المشروع، وكان شريكاً فيه حتى بلغ هو الواحدة والعشرين من عمره.

المحزن في الأمر، أنه لم يكن على علم حتى بمرض أبيه. وقد كان خارج البلاد عندما بلغه نبأ وفاة الرجل العجوز. وبرغم كل شيء، كان يودّ حضور مراسم الدفن، وكان في امكانه ان يفعل هذا بموافقة آديل وانديا أو بدونها.

بالطبع كان يمكن أن تشككا في حقيقة موقفه ومشاعره في هذه المناسبة، طالما آديل هي المسيطرة كلياً على انديا. لعلها تسمّم الآن أفكار اخته بحديثها عن دوافع عودته إلى الجزيرة. تقول لها انه لم يكلّف نفسه عناء المجيء قبل اليوم. أما الآن، عندما أصبح الامر متعلقاً بالمال، وبمبالغ ضخمة (اذا صحت الدعاية) فها هو يأتي بسرعة لينقض على الارث كالنسر.

ابتسم بمرارة اذ خطرت في باله هذه الفكرة. حسناً، من هذه الناحية يمكنه أن يخيّب ظنهما اذا شاء. قد يكون غادر الجزيرة دون فلس واحد في جيبه، لكنه ليس راجعاً كما ذهب. فلديه الآن ماله الخاص، ومؤسسته الخاصة الناجحة التي يستمر في ادارتها. لم يعد ذلك المراهق الأرعن الذي كان عندما تزوج والده للمرّة الثانية. لقد اصبح رجلاً يعرف معنى الصراع في سبيل البقاء.

هذا ما تعلمه في السنوات الثلاث الأولى لمغادرته الجزيرة. لقد التحق بالجيش وتخلص بذلك من آخر الصفات الصبيانية أثناء خدمته العسكرية في غابات أميركا الوسطى وأنهارها. لقد نمّى التدريب الجيد في نفسه ميزة الانضباط الذاتي وأكسبه قوة الارادة لتحقيق أهدافه وطموحاته.

عندما ترك الجندية، لم تكن لديه فكرة محددة عما يريد أن يصنع في حياته. ذهب للعمل في مخيم صيفي، ومن خلال النشاطات المتنوعة المقدمة للأولاد، تلمّس طريقه لتحقيق طموحاته.

قرّر أن ينشىء نادياً للراشدين، حيث يمكن ممارسة نشاطات ملائمة اختبر بعضها في اطار خدمته العسكرية، بالإضافة إلى برنامج لتخفيف الوزن واللياقة البدنية. أدرك أنّ عليه تأمين برنامج كهذا في جوّ مريح فيكون كقبضة حديدية في قفّاز مخملي. كان يلزمه حمامات مياه معدنية وتجهيزات السونا ومدلّكون ذوو خبرة لتخفيف تعب النهار، وكافة الوسائل الحديثة للعلاج بالمياه. كان حلمه أن ينشىء نوعاً من النوادي يمكنه تأمين كافة الحاجات البدنية والرياضية؛ قسم لتعليم كرة المضرب للسيّدات ولتدليك

الوجه والتجميل، بينما أزواجهنّ يتسلقون الصخور أو يمارسون رياضة مائية أو يمرنون اجسامهم المترهلة.

كان يعرف بالطبع، أن هناك نساء يرغبن في تسلق الصخور، كما أن هناك بالمقابل رجالاً، يفضلون لعبة كرة المضرب ومن ثم الاسترخاء والاستمتاع في النادي... لذلك كان مستعداً لتأمين كافة المستلزمات. كما خطط لإعداد غرف مريحة لإقامة ضيوفه من الجنسين ليشعروا كأنهم في بيوتهم. كان عليه ان يوفر أجواء اجازة مريحة لكن مكلفة بحيث لا يقصدها سوى الميسورين المهتمين فعلاً بصحتهم.

لقد استخدم المبلغ الذي جمعه في السنوات الثلاث من خدمته العسكرية لافتتاح ناديه الاول. بينما معظم رفاقه المجندين انفقوا رواتبهم على الشراب والنساء، وبذلك، جنب نفسه الادمان ووفر ماله لوقت الحاجة. لم يضطر يوما لأن ينفق مالاً لإرضاء امرأة، فقد كان في عينيه وقسمات وجهه البرونزي ثمة سحر يجتذب الجنس اللطيف بسهولة نحوه. لكن هذه الميزة لم تكن لتغرّه. فقد علمته الخبرة ان يكون حذراً في علاقته مع الجنس الآخر.

مع ذلك فقد كان مشروعه مغامرة وظف فيه آخر فلس يملكه بالاضافة إلى مبلغ اقترضه من المصرف لشراء مزرعة فاكهة في فلوريدا. وقد تطلب المشروع أشهراً من العمل لجعل المكان شبه مؤهل لاستقبال الضيوف.

في هذا الوقت لجأ إلى غريغ ساندرز من جديد، وقد كان الرقيب ساندرز مدربه القديم عندما كان في بداية خدمته العسكرية. كان ناتان يكره الرتباء السود ذوي المظهر الفظ القاسي. وقد ضايقه ساندرز في التدريب دون هوادة، حيث

امضى وقتاً أطول واستهلك احذية في ميدان التدريب أكثر من أي مجند آخر من رفاقه.

لكن مع الوقت، نشأ احترام متبادل حقيقي بين الرجلين. ومع انهما لم يكونا صديقين أول الأمر، فقد توصلا على الأقل إلى تفاهم متبادل. وعرف ناتان انه لولا تدريب ساندرز لما امكنه البقاء تلك المدة في الادغال. لقد كان ليناً نسبياً، ولكونه هو من عائلة كاتريك، فانه لم يكن مستعداً لاي نوع آخر من العيش.

عندما علم بعد ذلك، ان ساندرز تقاعد من الجيش وهو يبحث عن عمل، ذهب إليه وطلب منه العمل معه، فليس في امكان احد غير ساندرز، اعادة اللياقة البدنية لزبائنه. ثم انه من الافضل التعاون مع شخص يعتبره اكثر من مجرد موظف. انطلق نادي سوليفان سباس كما اسماه، مستخدماً اسم عائلة امه بدل ابيه، كي لا يتهمه احد بالاستفادة من شهرة ابيه. فضلاً عن ان هذا الاسم ساعده على التحرك بحرية، دون خوف من ان يعرف امره.

لا أحد، خصوصاً هو بالذات، كان في امكانه ان يتصور مدى النجاح الذي احرزه النادي. فبعد انطلاقته المتواضعة أخذ ينتشر في سائر انحاء الولايات المتحدة. وبما ان معظم النوادي الصحية كانت في مناطق مدنية، فقد ركز هو على انشاء نواديه في مناطق أقل تمدناً. فقد أضاف إليها بذلك ميزة الاحتكاك بالطبيعة وامكانية رؤية الطيور والحيوانات في بيئتها الطبيعية.

فضلاً عن ذلك فقد انشأها في مناطق تعد من أجمل مناطق العالم: جنوبي كاليفورنيا، كولورادو، جنوب داكوتا،

نيومكسيكو، فضلاً عن المنتجع الرائد في فلوريدا ومراكز أخرى على طول الساحل الشرقي. كما انه كان محظوظاً من حيث رخص الأراضي في المناطق التي توسع فيها. وبالتالي، كان في امكانه ان يبني على مساحة اوسع، مع مراعاة ظروف البيئة.

مرت سنوات وتمكن غريغ ساندرز من اعداد مجموعة من المدربين اصبحوا يعملون تحت اشرافه. لم يعد ناتان يعمل شخصياً، بل صار يقوم مع مساعده بزيارات دورية لكل منتجع للتأكد من حسن سير العمل فيها. ولمناسبة ذكرى ميلاد غريغ الخمسين، أهداه ناتان ربع اسهم الشركة مما جعله المساهم الرئيسي بعده.

كان ناتان خارج البلاد في عمل يهم الشركة، عندما توفي والده، فلم يكن في الإمكان الاتصال به. كان في منطقة جبلية من ولاية بريتيش كولومبيا، يدرس امكانيات افتتاح مركز جديد في تلك المنطقة النائية من كندا. كانت وسيلة النقل الوحيدة للوصول إلى هناك، الزورق أو الحوامة. وقد اثارت اهتمامه فكرة انشاء واحة من الترف والفخامة العصريين في محيط طبيعي بدائي كهذا. بالطبع، لا بد من التخطيط بعناية لمشروع فريد من نوعه كهذا. في إمكانه الآن استخدام افضل الادمغة في العالم لإنشائه في هذه المنطقة، ولا بد من خبرة عالية لجعله متآلفاً مع الاطار الطبيعي؛ غرف للنزلاء خارجها من خشب الاشجار الخام، لكنها تتضمن كل أسباب الراحة والفخامة في الداخل، فضلاً عن احواض للسباحة تملأ بمياه البحيرات بعد تنقيتها، وتكون باردة وساخنة حسب الطلب.

شارفت الرحلة القصيرة في الطائرة على نهايتها، وعادت المضيفة التي قدمت له الشراب بعد الاقلاع، تطلب منه ربط حزام الامان استعداداً للهبوط. نظرت إليه، كما فعل الطيار، وفي عينيها أكثر من سؤال. لكن بخلاف الطيار، كان في عينيها أيضاً آمال وأحلام.

تساءل ما الفائدة من وجود مضيفة لرحلة تستغرق أقل من نصف ساعة؟

قرّر الا يفكر كثيراً في الموضوع، فأشاح بنظره عنها إلى نافذة الطائرة وارتسمت على وجهه علامات السخرية والشك. ربما كان هذا اسلوب آديل. زوجة أبيه، في تذكيره بانها لم تنسه (أو لم تسامحه لعدم تجاوبه معها) ربما ستعمد إلى اثارته أو استفزازه بتذكيره بما رفضه سابقاً. لعله كان مرهف الشعور أكثر من اللازم آنذاك، ورهافة الشعور لا تفيد للعيش هنا. لذلك دفع ثمناً باهظاً لشهامته. لكن الغريب في الأمر ان اباه بعد ان غضب عليه ونفاه، جعله الآن وريثه الوحيد! فندق كاتريك وجزيرة بليكان... كلها اصبحت له الآن. على أية حال، لقد اختارت آديل ان تلعب لعبتها القذرة، وهو لها بالمرصاد.

اقتربت الطائرة الصغيرة من الجزيرة فأبعد عنه هذه الافكار ليركز نظره على المكان الذي كان موطنه لأكثر من خمس عشرة سنة. كان والده قد اشترى الجزيرة وفي ذهنه انشاء استراحة خاصة لصيادي عرض البحر واصحاب اليخوت السياحية. وعندما كان في السادسة عشرة من عمره بدأ المشروع الصغير يزدهر. كان النزلاء يتقاسمون غرف البيت، الذي كان بيت العائلة في تلك الأيام. وبرغم ان

وسائل الراحة فيه كانت بسيطة، لا أحد كان يهتم للامر كما يبدو. تذكر أيام المدرسة الطويلة التي أمضاها هنا والمركب الذي صممه أبوه للصيد بطول ثلاثين قدماً، والليالي الحارة على الشاطىء، حيث كان يأكل سمك الحفش المشوي ويتحدث عن سمكة المرلين الضخمة أو البراكودة التي افلتت منه.

إلى ان دخلت آديل إلى مسرح حياتهما... فاصبح يميل إلى الكآبة والتأمل. جاءت مع ابنتها انديا التي كانت في السابعة من العمر. كانت آديل طموحة فكرت ببناء فندق عصري وتوسيع الخدمات التي يمكن تقديمها... وكانت قد التقت اباه في احدى رحلاته القليلة إلى لندن لزيارة والدة زوجته السابقة. رأت آديل في آرون كاتريك ضمانة لمستقبلها من الناحية المادية.

عادت اصابعه الطويلة تعبث بشعره بتوتر. ان تقديره لدوافع آديل للزواج من ابيه كان قاسياً نوعاً ما، لكنه كان في محله. فمنذ البداية رأى بنظره الثاقب بصره ما كان يخفيه مظهر «الولدنة» الذي اظهرته آديل نحو ابيه. والغريب ان اباه لم يكن قادراً على ان يرى ما رآه هو. بخلاف ذلك فقد تغير نحوه بعد ان كان ذلك الأب الحنون المتاني على ولده حتى لو أسرف في ازعاجه احياناً. فقد اصبح بعد ذلك يتهرب منه كما يتهرب التلميذ المتمارض من مدرسته، فقل اهتمامه بكل ما يقوله ابنه. كان مفتوناً بآديل، مأخوذاً بجمالها الذي يشبه جمال اللعبة، ومغتراً بأن امرأة بهذه الجاذبية تعلقت برجل تجاوز منتصف العمر. بالنسبة لناتان، كانت الفائدة الوحيدة التي جناها من زواج ابيه،

دخول انديا في حياته. لكنه لم يبال بها اول الامر؛ ففي الخامسة عشرة من عمره، لم يكن لديه متسع من الوقت لتلك الفتاة الصغيرة النحيلة التي كانت تلازمه كظله. لقد كانت مزعجة نوعاً ما، ولم يشأ ان يضيع وقته معها.

لكن انديا كانت طيبة معه برغم كل شيء، ولم تحاول ان تستغل وضعها في العائلة كبنت صغيرة مدللة. لذلك بدأ يتقبلها وصار ليناً معها. هذا بالاضافة إلى كونها حدثاً جديداً في حياته، فقد كان دوماً ولداً وحيداً ثم صارت له بمثابة اخت. ومع مرور الوقت تحولت علاقته باندیا إلى صداقة طيبة.

كانت تبدو احياناً أكبر من عمرها. وقد يعود هذا جزئياً لإهمال آديل لها، كما يظن. كانت تسعد بالجلوس معه ساعات طويله يحدثها في أمور شتى. كانت ترضي انانيته، اعترف بذلك. وعندما اقنعت آديل آرون ببناء فندق جديد، وبدأ التباعد بينه وبين أبيه، وجد في انديا متنفساً لمشاعره الصبيانية المكبوتة.

علمها السباحة واستعمال اداة التنفس تحت الماء، وكان يصطحبها لاكتشاف مشهد الصخور الرائع تحت الماء في شرقي الجزيرة. علمها كيفية الغطس لاستخراج صدف البطلينوس، ورافقها في جولة على الكهوف الخفية التي اكتشفها خلال سنوات طفولته. كانا لا يفترقان اثناء العطلات، وبدأ يعاملها كشريكة وصديقة.

هنا تدخلت آديل. لم تكن علاقتهما تعجبها قطعاً. وكلما نظر إلى الماضي كان يتساءل بحيرة في ما اذا كانت تغار منهما. لكن حتى الآن، ما زال تفسيره هذا لسلوكها مكبوتا

في داخله. أي سبب كان يجعلها تغار من تلميذة مدرسة؟

على أيه حال، لقد نجحت اخيراً في تفريقهما... دقت اسفيناً بينهما في عطلة ذلك الصيف الاخير له في الجزيرة. قالت على مسمع منه ومن ابيه، ان عليها ان تتوقف عن ازعاج اخيها وانه قال لها انه لم يطق انديا وانه تحملها على مدى السنوات الست الماضية. لكن ، يجب وقف ذلك الآن، باعتبار انه اصبح رجلاً ولم يعد ولداً. وان آخر ما يحتاجه الآن هو فتاة غير ناضجة مثلها تعكر مزاجه.

بالطبع انكر انه قال هذا الكلام. لكنه لمح الشك والارتباك على وجه انديا. وعندما سأله ابوه بصراحة اذا كان قد قال عن آديل انها كاذبة، اضطر للتراجع في كلامه. كان في موقفه شيء من الجبن، ولعب بذلك لعبة آديل، وساعدها في الوصول إلى حيث تريد.

أخذت الطائرة تنعطف بشكل حاد، فنظر إلى شواطىء طفولته المكسوّة بالنخيل. شريط متعرج من الرمال والصخور المرجانية يحاذي محيطاً يتراوح لون مياهه بين الازرق القاتم واللازوردي الفاتح، تتخللها اكوام من الطحالب البحرية الطافية المتحركة مع التيار.

عند اقتراب الهبوط، بدا كان المدرج يقبل نحو الركاب بسرعة. أهتزت الطائرة الصغيرة القوية عند ملامستها الارض الصلبة. خليج وندرمير، رأس الكان وكهف أبالون، وكل اسماء المواقع التي كان يألفها، احتشدت امامه للترحيب به. انها المرة الاولى التي يعود فيها إلى موطنه بعد غياب اكثر من ثماني سنوات.

تساءل من سيأتي لاستقباله. ان المسافة بين المطار في

غرين تارتل هيل والفندق في اباكو بيتش، لا تزيد عن ثلاثة اميال. وفي ايامه، كان الضيوف ينهون هذه الأميال الأخيرة من سفرهم في حافلات صغيرة كانت تستعمل أيضاً في جولات في أرجاء الجزيرة. كان ذلك قبل ان يصنف فندق كاتريك في فئة الخمس نجوم. بعد ذلك اصبحت سيارات الرولزرايس أو الكاديلاك ربما، تستخدم لنقل النزلاء.

توقفت الطائرة قرب مبنى ابيض كان يستخدم لمراقبة حركة المسافرين. لاحظ ان المكان لم يتغير تقريباً عمّا كان يذكره، باستثناء الطلاء الجديد.

قالت المضيفة: «أرجو أن تكون قد استمتعت بالرحلة، يا مستر كاتريك.» وتابعت بعد أن فتح باب الطائرة ونصب سلم النزول: «طاب يومك.»

«شكراً.» لكن عند مصافحته للطيار، لاحظ ان نظرتها قد تغيرت. ربما تصرفت معه بهذا الشكل خوفاً على مصلحتها. يجب ان يعرف الجميع الآن، أنه اصبح المالك الجديد لجزيرة بليكان. ولعل خطأه الآن انه كان يلبس ثياباً غير رسمية مما اوحى لها ربما، انه قد يتأثر ببعض حركات الاغراء. فتغيير المالك قد يعني احياناً تغيير الموظفين. والتفكير بأن الكلمة الاخيرة بشأن توظيفها هي له، امر لا يصدق.

لكن البحرية علمته ان لا شيء يأتي مجاناً، لذا، حمل حقيبة سفره وهبط درجات السلم دون ان يلتفت إلى الوراء. شعر بحرارة الشمس وكان سروال الجينز الضيق ملتصقاً به كجلده. كان عليه ان يبدل ثيابه في الطائرة، لكن انشغاله بالتفكير انساه حرارة الجو.

بقي لحظة عند أسفل سلم الطائرة، يجيل نظره في

المكان. لم تكن الجزيرة تخلو من نسمات منعشة تلطف الحرارة، خاصة هنا في غرين تارتل هيل، حيث كان الهواء الحار يرفع شعره عن رقبته المبللة بالعرق ويجعل قميصه تلتصق بجسمه.

«ناتان.» لم يكن منتبهاً لاقتراب احد منه. كان يحدق في مهبط الطائرات الذي بدلت الشمس لونه، وفي اللهب الخانق المنبعث من الطائرة وفي النباتات اليانعة الاخضرار المنحدرة نحو الشاطىء. وتسمرت عيناه على شريط الامواج المزبدة فوق الرمال، وامتلأت اذناه بهديرها المكتوم وهي تتكسر على الصخور.

لكن نظره تحول إلى المرأة الشابة الواقفة إلى جانبه. امرأة طويلة رشيقة وجذابة، ملامح وجهها ناعمة وشعرها طويل مرسل على طبيعته وقد اسبلته إلى الخلف وعقدته بشريطة ناعمة. عيناها زرقاوان وانفها مستقيم وشفتاها ممتلئتان نضرتان. لم يستطع ان يزيح نظره عن شعرها اللامع الذي كان اشبه بشلال متالق من الحرير الاحمر المنسجم مع بياض ونعومة بشرتها.

قال غير مصدق: «انديا؟» توترت شفتاها بشكل لا يكاد يرى: «ناتان، أهلاً بك. اني آسفة لعودتك في مثل هذا الظرف المحزن.»

«نعم،» قالها وهو يحاول فهم التغير في شخصيتها. عندما رحل، كان طولها لا يتجاوز خمس اقدام على الاكثر، وبرغم انها لم تكن بدينة صهباء كما كانت تصفها امها، الا انها كانت تعاني من متاعب المراهقة المعروفة. قال بتردد: «هذا يؤسفني ايضاً، يسرني ان اراك ثانية، يا انديا.»

ابتسمت ابتسامة شكلية وقالت: «هل ننطلق؟» القت نظرة

سريعة على حقيبته من القماش المطرز واشارت إلى خلف المبنى قائلة: «السيارة هناك في انتظارنا.» ثم التفتت إلى الطيار الذي كان يراقبهما. «راوول، هلا احضرت باقي امتعة السيد كاتريك من الطائرة؟»

«كلا!» قاطع ناتان قبل ان يتمكن الطيار من الاجابة وقال مربتاً على حقيبته: «هذا كل ما احمل. لا امتعة اخرى.» إلتوى حاجبا انديا، وهما عبارة عن خطين داكنين، تعبيراً عن ارتباكها. وقالت: «تعني ان الامتعة تلحق بك في ما بعد.» لكن ناتان هزّ رأسه بالنفي وأكد بنعومة:

«لديّ كلّ ما احتاج إليه.» ثم حيّا الطيار ومساعده مبتسماً: «شكراً يا راوول. لقد كانت رحلة ممتعة جداً.»

لم ينظر إلى المضيفة لكنه خمّن بانها كانت مرتاحة لانه لم يشر إليها. كل هذه الملاحظات جعلته يتساءل عن القصص والاحاديث التي كانت تدور حول شخصه. أي صنف من الرجال كانوا يظنونه؟ أية اكاذيب أخرى كانت آديل تروجها عنه، بعد ما علمت انها لن ترث جزيرة بليكان في جميع الأحوال؟

انتابه شعور بالغضب اذ خطر بباله ان تكون انديا قد سمعت ان اخاها مهووس. ربما فكرت بالطبع بشيء من هذا القبيل. وربما قد أدخِلَ في عقلها، ان لا هم لديه سوى العلاقات الحميمة بالطبع، لم يكن ناسكاً، وهو لا يدّعي ذلك. لكنه استخدم معظم طاقاته في السنوات الماضية لإنجاح اعماله وليس لإرضاء رغباته.

«اوه، حسناً...» هزّت انديا كتفيها النحيفتين في حركة تفيد انها صرفت النظر عن موضوع الامتعة، وانطلقت نحو

السيارة ذات اللونين الابيض والاسود، المتوقفة في ظل المبنى: «هيا بنا.»

تأمل ناتان لحظة وهي تسير أمامه، جسدها الرشيق المحصور في السروال القصير الضيق، المشدود تحت غلالة من الحرير الابيض. وادرك ان هذا الزيّ، كان احدى مميزات الفندق غير المعلنة.

هذه الخاطرة اثارت فيه نوعاً من الشعور بالغيرة. لم يكن يطيق ان يتصور احد المصرفيين الاثرياء يمتع نظره بجسد انديا الاهيف. انها بمثابة اخته! لم يكن يريد ان ينظر إليها أحد سواه. وشعر برغبة مفاجئة وملحة في حمايتها. ترى، هل تستغل آديل ابنتها كما كانت تستغل أي شيء آخر؟

عندما صعد إلى السيارة كانت انديا جالسة تدير المحرك ويدها على المقود. ألقى ناتان حقيبته في الخلف وجلس على المقعد بجانبها وهو يرمقها بطرف عينه بحنان. ثم انطلقت. لقد تم اصلاح الطريق كما لاحظ بسرعة: ردمت الحفر التي كان يذكرها، ودعم جانبا الطريق بالصخور المرجانية. لكن مشكلتها الدائمة كانت طغيان النباتات في الجزيرة، والتي كان يستحيل السيطرة عليها. فغصون العرائش المتدلية كانت تحجب الطريق في بعض الاماكن، فضلاً عن ان الاعشاب كانت تنبت بين حجارتها. لاحظ التنافر في المشهد الطبيعي حوله. فالشجيرات المدارية كانت تنمو في كل مكان بشكل فوضوي ومع ذلك فقد احتفظت الجزيرة بجمالها الاخاذ.

«هل استمتعت برحلتك؟» فاجأته بسؤالها، فكان عليه ان يكبت رغبة مفاجئة في أن يسألها اذا كان الأمر يهمها حقاً. ان

موقفها وحديثها (المهذب لكن السطحي) لم يكن يتوقعهما أو يريدهما. ترى، ألم تكن تشعر نحوه بشيء خاص؟ كان يمكن ان يتوقع منها اظهار الغضب أو الاستياء، لكن ليس اللامبالاة. لكن ربما كان من المبكر التصريح بمشاعره نحوها، خاصة انه لم يكن متأكداً تماماً من طبيعة هذه المشاعر. ما زال يحلل ردّ فعله لمظهرها وفي ذهنه صورة تلك الفتاة الساذجة التي كانت تؤمن بكل كلمة يقولها.

أجاب: «كانت رحلة رائعة.» واستدار قليلاً نحوها ملقياً ذراعه خلف مقعدها. تردد قليلاً وسأل: «كيف حال أمك؟ هل كانت هنا عندما توفي العجوز؟»

«بالطبع كانت هنا. كان مريضاً منذ عدة اسابع. اعتبر الطبيب ان حالته كانت مجرد ارهاق. لم يرد الذهاب لاستشارة اختصاصي. كان يشعر ببعض الالم مؤكداً انه مجرد تشنج عضلي.»

احس ناتان بانقباض في حنجرته رغماً عنه، وقال: «لكن الامر لم يكن كذلك.»

أجابته: «كلا.» تابعت وهي تهز برأسها، فلامست يده خصلة من شعرها الطويل: «بعد ذلك، اثر النوبة القلبية التي اصابته اكتشفوا انسداداً في احد شرايين القلب، أودى به بسرعة.»

ادار ناتان يده وأخذ خصلة من شعرها الناري محاولاً تلمّسها بين اصابعه وقال: «فهمت.»

اضافت: «حاولنا الاتصال بك، لكننا لم نكن نعرف مكان اقامتك. ولحسن الحظ، فإن السيد هاستنغز... (محامي ابيه كما يذكر)... حدّد عنواناً في نيويورك، لكنك لم تكن هناك.»

«كلا، كنت خارج البلاد، ومع ذلك... أشك في ان احداً سأل عني.»

نظرت إليه اذ ذاك ببرود وقالت باقتضاب وكأن هذا الجواب كافٍ: «أنت ابنه!»

شعر بفظاظة قوله غير المنصف فأردف دون إخفاء استيائه: «لم يسأل احد عني طيلة الثماني سنوات الماضية. طردني العجوز من الجزيرة، إذا كنت تذكرين، ولم أشعر قط بأنه يريدني ان اعود.»

شدت انديا بأصابعها على المقود دون ان تنبس ببنت شفة. تركته بعض الوقت ليفكر في استنتاجاته الخاصة. لكن كان من الصعب ان يدوم أي شعور بالمرارة هنا، في جوّ الجزيرة العابق بالاريج المنعش والشمس المائلة للانحدار تضفي بهجتها وبريقها الذهبي على كل شيء حوله. كان قد نسي منذ زمن طويل روعة كل هذه الاشياء من حوله. فسرّح نظره متأملاً أشجار الميموزا والدفلى وهي تحني رؤوسها للنسيم الذي كان يوشوشها.

كانت الطريق متعرجة نزولاً نحو الشاطىء وإلى شمالها بساط أخضر من العشب في ارض ملعب الغولف، تتحدى بتنسيقها مزاجية وفوضوية الطبيعة من حولها. هناك، خلف شجرة جكرندا مزهرة، رأى سقف النادي المرجاني والعربات الزاهية الالوان المخصصة لنزهة الزائرين.

لا شك في ان آديل اشتغلت كثيراً، فكر بسخرية، عندما تذكر ان هذه المنطقة كانت برية مزهرة. لكن، هذه الايام، لا قيمة لاي منتجع من دون ملعب غولف. وبمجرد القاء نظرة على المكان، يتبين ان افضل ما فيه هو هذا الملعب.

«ان اباك لم يتوقف قط عن حبك، انت تعرف ذلك.» قالت انديا ذلك فجأة، واضعة حداً لصمت ثقيل وعدائي كان مخيماً

عليهما. نظر ناتان إليها متفحصاً وقال مشككاً: «صحيح؟»

«كان يتكلم عنك كثيراً وباستمرار. خصوصاً عند... اقتراب النهاية.»

أطبق ناتان فكيه بشدّة. ماذا عساه يقول حول هذا؟ هل كانت تظن ان هذا يجعله يعتقد ان اباه قد سامحه؟ تباً، انه لم يخطىء في شيء حتى يسامحه عليه.

سأل بشيء من السخرية متلهفاً لتغيير الموضوع: «وأنت؟» نظرت إليه مجفلة: «ماذا بشأني؟»

«أما زلت تحبينني؟» فاحمر وجهها بسرعة، ولاحظ أن لها بشرة جميلة وناعمة، لم تسمر بتأثير الشمس لكنها خالية من النمش، الذي غالباً ما يصيب ذوي الشعر الأحمر. بخلاف ذلك، فإن يديها وساقيها ناعمة لاعيب فيها وجذابة لدرجة الارباك.

«بالطبع.» قالتها كأنما لتبرر موقفها. فوجد نفسه يحدق فيها محرجاً من طيبتها. كيف يمكنها ان تحب شخصاً استخف بها واهانها وأكثر من ذلك... خان العائلة كلها، وخصوصاً أباه؟ اردفت ببساطة: «كيف لا، وأنت أخي.» وشعر ناتان كأنه تلقىّ صفعة على وجهه.

الفصل الثاني

«أين هو إذن؟»

توقفت آديل كاتريك عن وضع الكريم المطّري على وجهها وعنقها ونظرت إلى ابنتها بنفاد صبر. كانت بإزارها الحريري الأحمر وبشعرها المتقن الصبغ، تبدو في سنّ يزيد عن اثنين وأربعين عاماً التي تعترف بها. لم تكن عباراتها المحكمة واللجوجة لتفيد كثيراً. فانديا كانت الوحيدة التي عرفت أن أمها في أسوأ حالاتها.

أجابت انديا: «قال انه ذاهب ليستحم.» وقابلت نظرات أمّها دون انزعاج: «لقد انزلته في الغرفة ٢٠٤ كما اتفقنا. ولو علمت انك ترغبين في حضوره إلى هنا، لكنت رتبت الأمور بشكل آخر.»

«لا أريد منك أن تأتي به إلى هنا.» أجابت أمها باقتضاب واستدارت لتراقب تعابير وجهها في المرآة: «إني استغرب فقط، انه لم يأتِ على ذكر الوصية عندما كنت عائدة معه من المطار. لا بد أنها في ذهنه بالتأكيد. لهذا جاء إلى هنا... ليسخر منا جميعاً!»

قالت انديا: «لا يمكنك أن تلومي ناتان على ما فعله أبوه. لم يكن يعرف شيئاً عن الوصية، ولم يؤثر بالتأكيد على إرادة والده.»

قالت آديل وهي تغلق علبة الكريم وترمي بها على الطاولة أمامها.

«أمي، انت تعلمين أن زوجك لم يكلم ناتان منذ أكثر من ثماني سنوات. لذلك، حتى السيد هاستنغز لم يكن لديه عنوانه.»

زفرت آديل: «نعم، هيا دافعي عنه يا انديا. كنت دائماً إلى جانبه. برغم انك عرفت ماذا قال عنك وكيف عاملك بازدراء... ما زلت تركضين وراءه كعاشقة حمقاء!» كظمت انديا غيظها وحافظت على هدوئها. كانت هذه مناقشة قديمة تعلمت الا تخوض فيها. كانت مؤذية في الماضي ويمكن أن تكون الآن كذلك، إذا استمرت. لكنها ادركت أن هذه طريقة أمها في التنفيس عن كبتها والتعبير عن المرارة التي كانت تتآكلها.

«حسناً، عما كنت تتكلمين إذاً؟ أما زال بنفس الوقاحة والعدوانية كما كان؟ أجيبي يا انديا.»

«إنه أكثر نضجاً الآن. وهو شديد السمرة وأظن أنه مهما كان عمله طيلة الثماني سنوات الماضية، فإنه لم يعمل في مكتب على أية حال.»

نظرت آديل إلى ابنتها وسألت بطريقة لاذعة: «حسناً، ماذا كنت تتوقعين؟» ارتاحت انديا لأن امها لم تلاحظ أي ارتباك في كلامها. فأجابت: «ربما كان يرعى البقر أو يعمل في منشآت للنفط. على ما أعتقد لم يكن يناسبه عمل آخر. أكاد أبكي كلما فكرت كم تعبنا لنحقق هذا النجاح هنا. هل من الانصاف أن يأخذ كل شيء؟»

«لا يمكن.» كان على انديا أن توافق امها على هذه النقطة على الأقل. لكن ناتان كان نسخة عن ابيه بكل صفاته وهي كانت دوماً بعده، المفضلة لدى آرون.

تناولت آديل قلم أحمر الشفاه وتفحصت لونه بتمعن. وسألت مستقصية بحذر: «هل... هل سأل عني؟» كانت تتوقع هذا السؤال، إلا أنها كانت شاردة الذهن. أجابت بصدق، محاولة إخفاء انفعالاتها العميقة: «لقد سأل عن أحوالك. لكنه تكلم عن والده معظم الوقت، أراد معرفة تفاصيل وفاته.»

لوت آديل شفتيها استياء وسخرية وقالت: «كما لو أنه مهتم حقاً بأبيه! أرجو ان تكوني اخبرته أن أباه لم يتكلم عنه بتاتاً. أنا لا أذكر أن آرون ذكر اسمه على مسمعي.»

انتصبت انديا فجأة. لم يكن قول أمها صحيحاً، لكنها رأت أن من الأفضل ألا تناقشها. فقالت: «أفضل أن أذهب. لقد وعدت كارلوس وعليّ أن أكلم باولو بشأن تقديم المشروب. عليّ أن ابدل ملابسي الآن يفترض بي ان أتناول العشاء مع السناتور ماركهام وزوجته.»

عبست آديل وقالت: «إنه لا ينتظر منك أن تتقيدي بهذا الترتيب، يا انديا. إن هذا جزء من العمل، أليس كذلك؟ لماذا عليك أن تتابعي عملك بنشاط وأنت تعلمين كما أعلم أن ناتان يمكن أن يطردنا غداً؟»

تنهدت انديا قائلة: «لا أظن انه سيفعل ذلك يا أمي.»

«من أين لك أن تعلمي؟ هل قال هذا بنفسه؟»

«كلا.»

«انتبهي إذاً. أرجو أن تكوني قد توقفت عن التفكير بأنك تعرفينه أكثر مني. إنه حقير، يا انديا، ليس لديه أي رادع. حان لك أن تصدقي هذا!»

علقت انديا، دون حماس، بأن لا وقت لديها لمناقشة موضوع ناتان الآن. غادرت غرفة أمها، وأعصابها متوترة

www.rewity.com

للغاية. اغلقت الباب خلفها وتوقفت لحظة لتستعيد أنفاسها. لكن كلمات أمها كانت أقوى من ان تسمح لها بإزالة اضطرابها بسهولة. وكون هذه الكلمات صحيحة يجعل من المستحيل نسيانها.

كان ناتان كما وصفته أمها. لقد تصرف بشكل مقيت. وكان قد حطم قلب والده. لقد تطلب الأمر سنوات لينسى آرون كاتريك ما فعله ولده. وتحملت أمها الكثير نتيجة للانهيار العصبي الذي حصل لأبيه بسببه.

هزت انديا كتفيها وألقت هذه الذكريات وراءها بتصميم. كيفما تصرف ناتان، ومهما فعل، لا فائدة من التفكير فيه الآن. بالطبع، لقد سامحه أبوه وإلا لما جعله وريثه. لا فائدة من زيادة الشعور بالمرارة الآن. يكفي أن أمها تغذي هذا الشعور في كلتيهما.

كان منزل العائلة يقع في جناح منفصل عن الفندق، ويتصل بالمبنى الرئيسي عبر ممر ذي أعمدة تخيّم عليها العرائش. كان مسكناً من طابق واحد سقفه مغطى بالقرميد الأحمر وتطل نوافذه المستطيلة على ساحة مرصوفة بالبلاط. كان يبعد عن سائر أبنية الفندق ما يكفي للمحافظة على خصوصيته ولمعالجة أية مشكلة في الفندق على الفور. بفضل هذه الخدمة الشخصية والجو الحميم اكتسب فندق كاتريك وبليكان شهرة عالمية. وادارة الفندق تفخر بهذه الشهرة النابعة من تأمين أسباب الراحة ومراعاة الاحتياجات الشخصية في آن معاً. وبرغم انها استقبلت عدداً كبيراً من الزوار على مر السنين، فقد حرصت على المحافظة على سجل خاص لأذواق وعادات كل منهم.

هذا ما جعل الفندق غير قادر على استقبال أكثر من ثلاثين زائراً دفعة واحدة. فقد خصصت ثماني عشرة شقة للزائرين من مختلف الطبقات وبينهم عدد من السياسيين ونجوم الفن الذين يعرفون انهم يجدون فيه الجو الهادىء الذي ينشدون. لا مكان لطالبي الاثارة في الجزيرة الصغيرة. لا دعاية رخيصة ولا مراهقين يطلبون تواقيع المشاهير. وفي الواقع، كان هناك بعض المناسبات التي تجمع كل النزلاء في حفلة واحدة. بحيث كان من الطبيعي أن يتحول زائر مجهول إلى وجه مألوف.

بدأ الظلام يخيم عندما دخلت انديا القاعة الرئيسية للفندق. إلا أن الثريا الضخمة المدلاة من السقف الكهفي الشكل، كانت تلقي ضوءها الناعم على النباتات والزهور التي كانت تزين قاعة الاستقبال بألوانها البهيجة. كما وُضِع إلى جانب مجموعات المقاعد والأرائك عدد من المصابيح كانت تضفي جواً من الهدوء والارتياح. بينما فرشت أرض القاعة الخشبية بالسجاد الصيني الفخم، الغني برسومه الرائعة.

كان هناك القليل من النزلاء في هذه الساعة المسائية. وكانت انديا تعرف أن معظم الضيوف في هذا الوقت يرتاحون أو يستحمون، أو يستمتعون بالتدليك المنشط الذي يقوم به طاقم محترف. فبعد ساعات من السباحة أو رياضة القوارب الشراعية أو مجرد حمام شمس، يطيب الاسترخاء بين يدي المدلك. لقد زود فندق كاتريك بكافة الوسائل الضرورية لتلبية متطلبات الزبائن، بحيث يستفيد الرجال والنساء على السواء من خدماته. بعد ذلك يمتلىء

المطعم برواده، ويبدأ المطعم بتقديم أشهى المأكولات التي يحضرها رئيس الطهاة الفرنسي وفريقه. لكن في هذه الفترة، كانت هذه الأماكن شبه خالية إلا من مجموعات المضيفين دائمي الحضور.

مع ذلك، شعرت انديا عند وصولها إلى مكتب الاستقبال، أنها لم تلبس كما يجب. لقد اعتادت في مثل هذا الوقت ان تبدل ملابسها للسهرة. ومع أن حضورها لم يكن دائماً ضرورياً، فقد كانت تفضل ان تشرف بنفسها على سير العمل. لكن مجيء ناتان غيّر مجرى الأمور الطبيعي. وهي ما زالت تصارع لوضع حدّ لردّ فعلها ازاء هذا الحدث.

تركت موظفة الاستقبال مجموعة البيانات التي كانت تدخلها في الكومبيوتر وأتت لترحب بها: «أهلا. يا آنسة كاتريك. هل ثمة شيء على غير ما يرام؟»

«ماذا؟» تساءلت انديا للحظة اذا كانت الموظفة تعني بسؤالها ناتان. وبعد أن تأكدت أن مظهرها هو سبب هذا السؤال، هزت برأسها: «كلاّ... لا شيء. أردت فقط أن أقول كلمة لباولو. أتعلمين أين هو؟»

أجابت الفتاة على الفور: «إنه في المربع، يا آنسة كاتريك. اخوك طلب شراباً، إنه لطيف جداً، سهل المعشر ودود وقريب من القلب. يختلف كلياً... أعني مختلف فقط عن أبيه، اليس كذلك؟»

بدا الارتباك عليها، لكن بما انها بدأت الجملة، كان عليها أن تنهيها بشكل ما. لكن انديا تفهمت موقفها. ثم ان ما قالته بعفوية كان صحيحاً، ففي سنواته الأخيرة، اصبح والد ناتان انعزالياً أكثر فأكثر وقد عزت انديا انحرافات مزاجه

لحالته الصحية. وبالتأكيد لم يكن آرون كاتريك طيب المعشر في الأشهر الثمانية عشر الأخيرة، كان انطوائياً وغير اجتماعي حتى معها. لكنها الآن لم تعد أكيدة كلياً من استنتاجها هذا. وتساءلت، هل كان ابتعاد ولده عنه سبباً لتدهور حالته الصحية؟ قد لا تعرف ابداً جواباً لذلك.

لكن الأمر المحرج الآن هو امكانية مواجهتها ناتان ثانية، إذا أرادت أن تكلم باولو قبل أن يبدأ برنامج السهرة. كانت تفضل أن تتجنب رؤية ناتان، على الأقل حتى يتسنى لها الوقت لتستحم وتبدل ملابسها. فبدون سلاح الهندام والزينة، كانت تشعر على نحو سخيف أنها ضعيفة. وناتان هو سبب هذا الشعور.

لقد أحرجها بشكل مزعج اليوم بسؤاله اياها ذلك السؤال الذي لا يغتفر. وهي جعلت الأمر أسوأ باعترافها أنها ما زالت تهتم به. كان عليها أن تتهرب من الاجابة، أو أن تجد جواباً دبلوماسياً. بدلاً من ذلك حاولت ان تظهر تجردها، فوضعت نفسها في موضع حرج، عرضة للسخرية التي يتقنها ناتان.

لم تكن تلك العلاقة تزعجها في ما مضى، لقد كبرت مع اخيها وتعودت على مضايقاته المثيرة التي كانت تعتقد دائماً أنها بريئة. إلى أن نبهتها أمها إلى أنه من غير اللائق أن تصاحب ناتان وهي بنت الثلاث عشرة سنة. ثم صارحتها بوضوح أكثر أنه متضايق منها، لكن تهذيبه يمنعه من جرح شعورها.

تذكرت انديا كم شعرت بالذلّ عندما تأكد لها ذلك. صحيح أنها تبعت ناتان كظله، لكن لم يكن لها أخ وقتذاك، خصوصاً

أخ أكبر منها في إمكانه أن يعلمها كل الأشياء التي كانت تتوق لتعلمها.

كانت تظنّ أنه سعيد برفقتها أيضاً، وربما كان ذلك في البداية. قد يكون وجد فيها أختاً «جاهزة»... جذابة وخصوصاً أختاً معجبة به ومتمسكة بكل كلمة يقولها.

لكن كان هناك فرق شاسع بين الإعجاب الساذج لابنة سبع سنوات والأصرار المربك لمراهق. ما ان لاحظت أمها هذا الأمر حتى شعرت انديا أن كلامها لا بد أن يكون صحيحاً. طبعاً، لم تتأكد آنذاك من نوايا أخيها، ولم تفهم أن مسايرته لها كانت وسيلة لغاية أبعد.

طمأنت موظفة الاستقبال بملاحظة ودية ومشت بتصميم عبر القاعة. لم يكن في إمكانها أن تلوم الفتاة لتأثرها بسحر ناتان، أما هي فقد عرفت جيداً خطورة هذا السحر.

كانت هناك أربع درجات تفصل قاعة الاستقبال عن المربع. وكان هذا الأخير بارداً ومعتماً تتوسّطه منضدة طويلة مزدانة بالمصابيح، وهو يطلّ على الشاطىء حيث ترى من بعيد أضواء الميناء. كان زوج أمها قد أنشأ الميناء الصغير قبل أن يصبح الفندق معروفاً. وكان البيت القديم حيث سكنت عند وصولها مع أمها إلى الجزيرة، فندقاً ومنزلاً للعائلة في آنٍ معاً. بعد بناء الفندق الجديد، تحوّل ذلك البيت إلى نادٍ لليخوت احتلّ الطابق العلوي بالإضافة إلى مخزن في الأسفل، حيث تباع اللوازم الرياضية ومعدات السباحة والغطس.

توقفت انديا قبل نزولها إلى المربع وألقت نظرة على المكان. البيانو الذي يعزف عليه كارلوس مندوزا معظم الأمسيات، بدا وحيداً، ولم يكن هناك راقصون يتهامسون

في الحلبة الضيقة. كذلك المقاعد والطاولات النظيفة المرصوفة إلى جانب النوافذ للاستمتاع بالمشهد الخارجي، كانت خالية، واصوات الستيريو كانت خافتة.

في الحال، وقع نظرها على ناتان جالساً يتحدث مع باولو. كان وحده مع الساقي. مع ذلك فقد أحست بتسارع دقات قلبها بشكل مقلق، لكنها حاولت التغلب على شعورها بأن ناتان يسيطر على الموقف.

كان قد غيّر ملابسه، استبدل الجينز الضيق الذي كان يبرز عضلات ساقيه بسروال قطني أسود وقميص داكن. وتدلى شعره الفاحم إلى الخلف حتى ياقته. كانت تستطيع أن تلاحظ حتى من مكانها، أن شعره ما زال مبللاً من أثر الدوش. شعر باولو فجأة بوجودها وقال شيئاً لمحدثه. أدار ناتان رأسه نحوها ولفت انتباهها غياب ربطة العنق التي كانت إلزامية.

كان منظره وهو يراقبها تنزل الدرج وتخطو نحوهما، يثيرها نوعاً ما. كانت منتبهة تماماً لشعرها المرسل وذراعيها وساقيها العاريتين، خائفة أن تزل قدمها او ترتكب حماقة مماثلة.

قال عندما اقتربت منهما: «مرحباً.» ارتاحت لكونه لم يتزحزح عن الكرسي للترحيب بها. ولكونه جالساً متكئاً على الطاولة فقد بدا بنفس علوّها تقريباً مما خفف من شعورها بالنقص كما شعرت عندما التقته في المطار.

أجابت مصطنعة ابتسامة باردة: «أهلاً.» فقد أزعجها حضور ناتان، وكانت تكره احساسها بالضعف والارتباك. لذلك حاولت تخفيف حساسيتها والتصرف مثله بشيء من الخشونة.

قال ملاحظاً بهدوء: «يبدو عليك الانزعاج.» وفكرّت أن توجيه مثل هذه الملاحظة الشخصية صفة خاصة به. كانت تعرف كيف تبدو ولم تكن في حاجة لأن يقول لها ذلك. ان حالتها ومشاعرها ليست من شأن أحد، فلِمَ تدخله إذاً؟

ردّت بقولها: «أما أنت فلا.»

سأل وهو يحك أنفه ببطء: «ماذا تعنين بذلك؟» كان في عينيه المتكاسلتين بريق رغبة يصعب سبر أبعاده.

«أنا... نحن نتوقع من الضيوف أن يضعوا ربطة عنق للسهرة.» أوضحت انديا بشيء من الاضطراب. كان يمكن أن تطمئن نفسها بأنه اخوها. إنه ناتان الذي شاركته في زمن مضى كل أسرارها الطفولية. لكن هذا لم يكن ليقنعها. لقد حدثت أمور كثيرة منذ ذلك الوقت: هو ذهب في سبيله وكبرا بعيدين عن بعضهما. والرجل الذي أمامها الآن لم يعد يشبه ذلك الصبي الذي لا تتذكره إلاّ قليلاً.

«حقاً؟»

تحسست أصابع ناتان ياقة قميصه المفتوحة ـ والتي لاحظت أنها من الحرير الأزرق النفيس. إذاً، حيثما كان ومهما كان عمله، لا يبدو أنه كان فقيراً ـ فكرّت انديا، تجنبت إطالة النظر إلى أنامله الطويلة وهي تكشف عنقه المسمرّ من الشمس.

كشفت ابتسامته عن اسنان بيضاء متناسقة. سأل مستقصياً: «أهذا هو هدف زيارتك؟ جئت لتقولي لي ان ثيابي غير مناسبة للمقام؟» قلّب شفتيه وأردف: «عفواً، لكن هل يمكنك القول ان ملابسك أنت مناسبة، وانني وحدي مخالف للأصول؟»

«لا، بالطبع لا. جئت أكلم باولو. لم أكن اعلم أنني سأجدك هنا. كيف لي أن أعلم؟»

أحنى ناتان رأسه موافقاً: «ربما لا،» ورفع كأسه إلى شفتيه: «إذاً هل تريدينني أن أترككما لوحدكما؟»

رفضت انديا أن تعطي أهمية لهذه الكلمات فلم تجب. التفتت إلى باولو وشرحت له المطلوب بأسلوب مهذب لكن سلطوي، اعتادت أن تستعمله مع الموظفين.

أوضحت بحذر: «إنه يتمنى عليك أن توقف قرقعة الكؤوس عندما يعزف، إن معظم الناس مستعدون للانتظار حتى انتهاء المنوعات الموسيقية، ليقدم إليهم الشراب. ومن لا يمكنه الانتظار في امكانه المجيء إليك. إن تنقلك بين الطاولات لتسجيل الطلبات في هذا الوقت يشوش على الضيوف سماعهم للموسيقى.»

قطب باولو جبينه وحبست انديا تنهيدة. لم يكن الساقي الايطالي سهل التعامل، فقد تشاجر مع كارلوس مراراً. «إنه يخاف خسارة الاكرامية، إذا قدّمت لهم شيئاً آخر للترويح عنهم،» وتابع بصوته الأجش وبلكنته الأنغلو ـ إيطالية المحببة لدى كثير من السيّدات: «ألا يفهم ذلك الأحمق أن عليّ بناء لطلب الزبائن، أن أشغل الستيريو؟»

قالت بهدوء: «لا أظن أن هذا صحيح دائماً، يا باولو. كارلوس موسيقي ممتاز.»

همهم باولو متجهماً: «يا سلام!» وبرغم أن انديا لم تفهم معنى الكلمة التي قالها بالإيطالية، فقد ادركت أن ليس فيها شيء من المجاملة بالتأكيد.

«لا أظن أن...» بدأت قولها بسأم عندما تدخل ناتان:

«أظن انك مدين باعتذار للآنسة كاتريك» وتابع بصوت هادىء ورزين فيه نبرة السلطة: «وإذا قالت لك ألا تقدم الشراب عندما يعزف زميلك على البيانو، فعليك ألا تفعل ذلك، مفهوم؟»

كانت ردة فعل باولو فورية فتلعثم قائلاً: «حاضر، يا سيدي» ولولا خبرة انديا بعناد باولو لما صدقت أذنيها لما سمعت منه. «كانت مجرد مزحة. كارلوس صديقي. كلنا أصدقاء هنا في جزيرة بليكان.»

شدّت انديا على فكّيها. لم يكن هذا النهار جيداً بالنسبة لها. والآن طفح الكيل معها. كان باولو يسخر منها بخبث، فوجد ناتان أن من واجبه ـ وربما من حقّه كما يعتقد ـ أن يتدخل في شؤونها.

قالت لباولو بحزم لم يخف ارتباكها: «كما قلت لك لا فائدة من تخاصمكما وتهجّم أحدكما على الآخر، كارلوس له عمله وانت لك عملك. لا أظن أني في حاجة لتذكيرك بأن إيجاد ساقٍ جيّد أسهل من ايجاد موسيقي جيد. أهذا واضح؟» ألقى باولو نظرة جامدة نحو ناتان، كما لو كان يستطلع ردّة فعله على كلماتها. ثم هزّ كتفيه راضخاً. «نعم، يا سيدتي.»

قالت وهي تنظر بحزم نحو اخيها، وهمّت بالانسحاب: «حسناً، والآن اسمح لي...»

«مهلاً.»

وصلت إلى الدرج المفضي إلى قاعة الاستقبال عندما استوقفها ناتان وقد أصبح إلى جانبها. لقد ظنت للحظة أنه سيتركها وشأنها.

«نعم؟» حاولت أن تقولها بهدوء وبشيء من اللامبالاة.

سأل، ملقياً خلفه نظرة ذات معنى: «ما معنى كل هذا؟ ولِمَ هذا الاعراض والنفور؟»

قالت متجاهلة: «عفواً ما قصدك؟» ونظرت إلى الساعة الذهبية الرقيقة في معصمها، وهي هدية من زوج أمها. في ذكرى ميلادها الحادية والعشرين. قطبت جبينها وقالت: «ليس لديّ وقت للحديث الآن، يجب أن أبدّل ملابسي.»

«أنت تعرفين ما أقصد. ما المشكلة؟ هل قلت شيئاً يزعجك أو أخطأت بحقك؟»

أجابت انديا: «لِمَ تظن ذلك؟»

«لم أرتح لنظراتك القاسية نحوي قبل قليل. حسناً، إذا كان لديك شيء تقولينه لي، هيا قوليه بصراحة. أنا لا أحب التلميحات الغامضة.»

تنفست انديا بعمق. لم تكن تريد الوصول إلى هذه النقطة. ليس الآن على الأقل. كانت تحسّ بالحر والتعب. وكل ما كانت تفكر فيه هو أخذ دوش منعش. «أنت تتخيل أشياء كهذه.» قالت مؤكدة أن الأمر لا يستحق هذه الأهمية. على أية حال، فكرت، إن ناتان هو المالك الآن. وإذا اعطى ملاحظة لأحد الموظفين فلماذا تتذمر؟

همت بالإنصراف مجدداً، لكن أصابع ناتان طوقت ذراعها وأوقفتها. قال بحزم: «أنا لا أتخيل أشياء، أظنك انزعجت من تدخلي في الحديث، بينك وبين الساقي. قد يكون هذا السبب الوحيد، إلا إذا كنت قد قلت لك شيئاً بعد الظهر، أشارك إلى هذا الحد! أخبريني إذا كان هذا ما يزعجك، لا أريد أن يكون بيننا أي سوء تفاهم.»

أحست انديا بردة فعل عنيفة عندما أمسك ناتان يدها. لكنها تمالكت نفسها وتساءلت عن معنى شعورها هذا. أحست بالنار حيث لامستها تلك الأصابع القاسية، وكأن تياراً محرقاً انطلق من يدها فوعت ما كانت غافلة عنه، وكأن تلك القبضة الفظة كانت ممسكة بجسدها كله. وأحست بنبضات قلبها تطن في أذنيها.

كان انفعالها مفرطاً، وقد أدركت ذلك. لكن الغريب أنها أحست كأنه لم يلمسها قط من قبل. في تلك الأيام، قبل أن تنبهها أمها لحماقتها، كثيراً ما كان يشد على يدها لتأكيد أمرٍ ما أو لأخذها إلى الصيد. من بين جميع النشاطات التي شاركته فيها، لم تكن تحب الصيد كثيراً. وغالباً ما كانا يتشاجران حول من سيسبق الآخر في الخروج.

كان يحملها ويرميها في الماء أحياناً، وتحاول أن تصارعه تحت الماء للخروج. كانا لا يعرفان معنى الخجل في علاقتهما الطفولية تلك الأيام. فما بالها الآن تنتفض من لمسة يده، وتشعر برغبة لاتقاوم في الافلات منه؟

رأت أن هناك وسيلة وحيدة للتعامل مع هذا الموقف. مالت بوجهها نحوه وقالت بنبرة حادة وعدائية: «أعتقد أنك تعرف ماذا فعلت. قد يكون ذلك سهواً، لكن الفندق كان يعمل جيداً عندما كنت بعيداً.»

زم ناتان شفتيه: «تظنين أن تدخلي يعرقل العمل. لِمَ لا تقولي هذا ببساطة؟»

تمتمت انديا: «أعتقد أنني قلته.»

«كان عليّ أن أنتزع منك هذا الاعتراف عملياً. وبما أننا دخلنا في موضوع العمل، لماذا لا تتركين آديل تقوم بهذا

العمل القذر الذي هو من شأنها؟ إذا كانت تريد أن يبقى الإيطالي في العمل، فاتركيها تتصرف. أنت لست خادمة لها.»

نظرت انديا إليه بطرف عينها بعد أن كانت تتجنب نظراته الحادة المتهمة. ورددت بشكل آلي: «آديل؟ أمي؟ ما شأنها بذلك؟»

تجهم ناتان وتفرس في وجهها المتزايد الاحمرار: «إنها المسؤولة أولاً وأخيراً عن هذا الوضع السيىء. أليس كذلك؟» قالت بنفاد صبر: «هذا الوضع السيىء؟ لا أعلم عما تتكلم.»

أجاب بلهجة غير ودية. «إنها ربما تستخدم مديراً للفندق ـ أنت أو سواك، لا أدري ـ لكنها توقع الشيكات، اليس كذلك؟ أو بالأحرى كانت تتصرف عندما كان أبي على قيد الحياة.»

تخلصت من قبضته وقالت: «كلا! إن أمي لم تشارك قط في إدارة الفندق. عندما كان والدي، بالأحرى أبوك، حياً، ائتمنني على هذا العمل. أمي كانت تسافر كثيراً. الجزيرة صغيرة والناس لا يستقرون فيها.»

«تعنين أنها كانت تضجر؟» ألمح ناتان بشكل فظ، كأنه وجد صعوبة في فهم ما قالته: «إذاً... ففندق كاتريك كان مشروعك أنت؟»

«لم أقل هذا. أنت تعلم أن تطوير المنتجع كان فكرة أمي...»

قال ناتان بسخرية لاذعة: «طبعاً، لأنه بحالته القديمة لم يكن يدر ما يكفي من المال لإرضائها.» لكنها لم تتوقف عند هذا القول فتابعت:

«ورتب أبي، أبوك، عملية التمويل.»

«تعنين أنه وقع في الفخ ورهن نفسه للمصرف؟ نعم، عندي علم بذلك.»

صمتت لحظة وقالت: «إذا استمريت في قول ملاحظاتك الفجة فلا داعي لمتابعة الحديث.» ثم أوضحت بحزم: «أنا متأكدة من أن السيد هاستنغز زودك بكل التفاصيل. إذا احتجت لمعلومات إضافية فاسأله.»

«تباً!»

تغيرت لهجة ناتان وأكد أنه لم يقصد جرح شعورها أو التشكيك بمصداقيتها. لكن انديا انتفضت وصعدت الدرج بسرعة. لم تكن مضطرة لتتحمّل فظاظته، وليس عليها أن تدافع عن نفسها أمامه، وخصوصاً أن تدافع عن أمها.

«حسناً، أنا آسف.» سمعت اعتذاره غير المتوقع قريباً جداً من اذنها، فتأكدت انه تبعها إلى الخارج. وقف على الدرجة خلفها مباشرة بحيث كانت انفاسه تدغدغ عنقها: «بخصوص هاستنغز لقد زودني بالمعلومات الضرورية طبعاً، لكن ليس بالتفاصيل. تباً له، لم ألتق به بعد. ما ان قرأت البرقية حتى أتيت فوراً.»

نظرت إليه انديا بشيء من النفور. ولكونه واقفاً أدنى منها، تقابلت أعينهما عن كثب ولم تستطع تجنب نظراته وهو يحدق بها مدافعاً عن موقفه. ضمت ذراعيها حول وسطها لا شعورياً كأنما لحماية نفسها.

قالت بحذر: «إذاً، ماذا يمكنني أن أقول بعد؟»

«يمكنك أن تخبريني كيف تحول مشروع أبي المتواضع لتوسيع المنتجع القديم إلى ما هو عليه الآن. عندما غادرت

الجزيرة، بنى حوض الميناء وكان يتحدث عن حوض للسباحة وملاعب لكرة المضرب، لا أكثر.»

رفعت انديا رأسها قائلة: «بدا أن المشروع استثمار رابح، هذا كل ما في الأمر.»

«رابح بالنسبة لمن؟»

«بالنسبة لنا جميعاً» أجابت وهي تختار ألفاظها بعناية. «لكنه كلف ثمناً باهظاً!»

«كان يستحق ذلك.»

«حقاً؟ كان لدى أمك افكار طموحة وكان أبي مستعداً لأن يفعل المستحيل لإرضائها.»

تراجعت انديا خطوة وقالت: «أبوك كان فخوراً بما انجزه!»

«لكنه أجهد نفسه فوق طاقته، أليس هذا صحيحاً؟»

اعترضت بحدة: «إذا كنت تلمح إلى أن النوبة القلبية التي أصابته هي نتيجة همومه المالية، فأنت مخطىء تماماً! هذا المكان يساوي ثروة. بل ثروة كبيرة. كيف تجرؤ على القول ان مرضه له علاقة بأي شكل من الأشكال بالفندق؟»

«حسناً، عليك ان تعترفي بأن العجوز مات قبل اوانه، وان أحداً لم يتوقع وفاته آنذاك.» انتفضت أحشاء انديا وقد تأكد لها انه فقد في دقائق كل مظاهر التهذيب وبانت شخصيته الحقيقية كما وصفته امها: بارد، وقح وعدائي.

قالت بصوت منخفض: «لا أريد ان أسمع أكثر من ذلك.» وقد لاحظت ان حدّة كلامهما لفتت انتباه اثنين من الموظفين؛ باولو كان يسترق السمع لمعرفة ما كان يدور بينهما وكذلك موظفة الاستقبال التي لاحظت ان اجواءهما

غير طبيعية. «اذا كانت لديك أية شكوى، فعليك بمراجعة المحامي عندما يأتي إلى هنا. لا اريدك ان تضايق أمي أكثر مما هي متضايقة.»

تجهم وجه ناتان وبدا عليه الارتباك. عندما تكلم عن الفندق، لم يكن يهمه أمر آديل بل ابنتها. وسأل: «هل سيأتي هاستنغز إلى هنا؟»

«نعم، وخلال يومين.» وجدّت انديا ان من الاسهل انهاء هذه المناقشة بحجة الجو العدائي بينهما. «طلبت منه ان يؤخر مجيئه لإعطائك الوقت الكافي لتعتاد على حياة الجزيرة من جديد. بالطبع، لم اكن اعلم اذ ذاك انك ستبدأ حال وصولك بتوزيع التهم عشوائياً.»

تصلب وجه ناتان وقال: «لست أتهم أحداً يا انديا. أحاول فقط ان أعرف ماذا يجري هنا! ولا تنسي انه أبي.»

أحست انديا بأن شعوراً بالتعاطف بدأ يتحرك في داخلها فأجابت: «أعرف، لكن هذا لا يعطيك الحق في أن تأتي هنا وتشكك في أسباب مرض أبيك، وقد تكون أنت مسؤولاً عن ذلك بطريقة أو بأخرى.»

الفصل الثالث

كان نسيم الصباح بارداً ومنعشاً. وكانت إحدى هوايات ناتان المفضلة القيام بنزهة على الشاطىء قبل اي متنزه آخر. لم ير سبباً لعدم القيام بهذه النزهة الآن حتى لو لم يكن قد نام في سريره. في هذه الساعة المبكرة، كان الرمل نظيفاً خالياً من آثار الاقدام التي تنقص من شعوره بالعزلة.

كان يعي تماماً ان تصرفاته ليست بريئة تماماً. وكان بتأخير عودته إلى الفندق يؤجل عن قصد معالجة الوضع الناشىء عن وصية ابيه. عاجلاً أم آجلاً كان عليه ان يصل إلى قرار بشأن ما يتوجب عليه عمله، لكن في الوقت الحاضر فضل تجنب المواجهة.

أمضى ليلته على متن «واي فارر» (جوّال البحار)، اليخت الذي علّمه أبوه فن الابحار به، وحيث كان يشعر انه في بيته اكثر من الشقة الفخمة، التي خصصتها له انديا وأمها. لقد افترض في بعض لحظاته الاكثر صفاء وصراحة، ان الغلطة ليست غلطتهما في الحقيقة. فلو كان هو محل انديا وامها، ماذا يمكن ان يفعل اكثر من ذلك لشخص كان من العائلة - ولم يعد كذلك الان - خصوصاً لشخص غير مرغوب فيه، أتى ليرث فندقاً لم يتعب في انشائه.

مع هذا فهو يعرف ان آديل تتوقع ان تراه. ترى كيف كان موت ابيه بالنسبة لها؟ لا يمكنه ان يصدق انها منهارة من

وقع المأساة. لأول وهلة، وحتى الليلة الماضية، كان يفكر بشيء من الاغتباط بإمكانية طردها. لكن كان هذا قبل حديثه مع انديا وقبل ان يكتشف انها هي التي تدير الفندق وليست آديل.

لذلك ترك الفندق إلى الميناء معتقداً، ان احداً لن يأتي ليسأل عنه هناك. كان في حاجة إلى بعض الوقت للتفكير ودرس الموقف.

انه وضع عبثي، كان يعرف ذلك. فمجرد التفكير في الاحتفاظ باندیا كان ضد العقل والمنطق. لقد وقفت إلى جانب امها،وكانت مثل ابيه، تصدق كل كلمة تقولها آديل. لكن المسكينة لم تكن تتجاوز الثالثة عشرة من العمر عندما حرضتها آديل ضدّه. هل كان في امكانها في هذا العمر ان تكون موضوعية مستقلة الرأي؟

لقد وضع ابوه في وصيته مستقبلها بين يديه. هذا يلقي على كاهله بعض المسؤولية. ترى، هل كان العجوز واثقاً إلى هذا الحد من ان ابنه سيكون شهماً؟ ام انه لم يكن يهتم بمصير آديل وابنتها؟لكن، تباً، ماذا يعرف هو عن انديا وما حصل لها اثناء غربته الطويلة؟ لا بد انها تشبه أمها أكثر مما كان يظن.

ابتسم بسخرية وهو يتأمل. هل أصبح عاطفياً إلى هذا الحدّ؟ هو الذي ظنّ يوماً انه أبعد العاطفة كلياً عن تفكيره وحياته. لا يمكنه الآن أن يفكر في أن انديا تحتل مكانة خاصة في قلبه. لقد كانت بمثابة اخته، لكن هذا الامر لم يكن سبباً ليخجل من شعوره الخاص نحوها.

عاد إلى الفندق بعد الساعة الثامنة وكان جائعاً. لقد

اكتفى بشطيرة الليلة الماضية، أما الآن فهو يشتهي فطوراً من البيض باللحم البارد مع شطائر الخبز المدهون بالزبدة. في منتجع سوليفان لم يكن ينصح بتناول مثل هذه الوجبة. لكن هذا بالضبط ما يلزمه الآن ليملأ معدته الخاوية.

كان الفطور يقدم في شرفة المطعم المطلة على المحيط، وهي عبارة عن غرفة زجاجية مشمسة يمكن تظليلها او اضاءتها بواسطة الستائر، حسب حالة الطقس. كانت معظم النوافذ مفتوحة والهواء المنعش يلطف حدة الحر. توقف ناتان لحظة عند المدخل يتأمل جمال الغرفة والطاولات المستديرة بأغطيتها البيضاء الناصعة وعليها ادوات الطعام الفضية البراقة وكؤوس البلّور. وكانت رائحة الخبز الطازج والقهوة الساخنة تنبعث من المكان واحسّ بمعدته تقرقر طالبة الطعام.

«أية خدمة يا سيدي؟»

كان النادل بملابسه البيضاء يرقبه بشيء من الارتياب.

وأدرك ناتان ان مظهره المهمل، كما في اليوم السابق، لم يكن يساعده على التقرب من الناس. ولأول مرّة، لاحظ ان شعر ذقنه النامي يجعل مظهر وجهه خشناً وعدائياً نوعاً ما. كما لاحظ وجود بقع من العرق على قميصه وسرواله.

تردّد قليلاً في الجواب وفكر انه مهما كان مظهره مزرياً فهو جائع، وهذا فندق على اية حال.

«نعم، دلّني على طاولة، وأحضر القهوة اذا سمحت. سأخبرك ما هو طلبي بعد أن ألقي نظرة على لائحة الطعام التي تحملها.»

«أنت من نزلاء الفندق. أليس كذلك يا سيد؟» سأله النادل

بلهجة يصعب القول انها ودية. فأومأ ناتان برأسه ايجاباً.

«الغرفة ٢٠٤. والآن، أين أجلس؟ هل يمكنني الجلوس إلى تلك الطاولة قرب النافذة؟»

هزّ النادل كتفه متردداً: «لست متأكداً...» وقبل أن يكمل قاطعه صوت نسائي مألوف.

«لويد، أنا أهتم بالسيد كاتريك.» قالت انديا بنعومة وهي تنظر إلى النادل منبهة: «ألم يعرّف السيد كاتريك عن نفسه؟ ناتان، إنه لويد برسال. يهتم بضيوفنا صباحاً.» وأضافت وهي تنظر إليه نظرة اعتبار «إنه يهتم خاصة بالذين يبدو عليهم الافراط في الشراب.»

شعر ناتان بالغيظ من ملاحظتها، فقال دون مزاج لمزيد من الحديث معها: «حسناً يا لويد. اذاً، ماذا عليّ أن أفعل للحصول على طلب ما هنا؟ إبراز هويتي أم ماذا؟»

قلبت انديا شفتيها وقالت: «أحضر للسيد كاتريك طلبه يا لويد، وأنا سأهتم بترتيب طاولة له.»

«حاضر، يا آنسة كاتريك.»

وبدا النادل كأنه يريد قول شيء آخر لكنه فضّل السكوت. وانتظر ناتان بشيء من التوتر ان تحدّد له انديا مكاناً للجلوس. تباً، قال في نفسه، هل هذه هي طريقة المعاملة التي تشجع النزلاء على العودة؟

كانت الطاولة التي خصصت له هي التي اختارها بالذات، قرب النافذة. طاولة لشخصين تحميها من النور الباهر مجموعة ستائر انيقة فضلاً عن غلالة من الحرير كانت تتماوج مع النسيم. على الرغم من توتره، شعر بأن عليه أن يقول كلمة مجاملة لانديا بعد أن أجلسته. فقال

ممازحاً وبشيء من البرود: «شكراً. أظن أن عليّ أن أعمم صورتي على موظفي الفندق اذا أردت تجنب المزيد من الاحراج.»

قالت بلهجة مقتضبة لا تخلو من التأنيب: «لن يكون ذلك ضرورياً إذا سمحت لي بتقديمك إلى باقي موظفيك. لو لم تختف مساء البارحة، لكنت الان معروفاً في الفندق. أنت في بيتك ولا حاجة لإثارة أية ضجّة.»

جلس ناتان على كرسيه ونظر إليها. وبرغم تأكده من أن ملاحظاتها هي في محلها، فقد شعر برغبة في تعكير مزاجها، لم يعرف لها سبباً.

رفض أن يعتبر ان مظهرها له أية علاقة بموقفه منها وتصرفاته معها. فتنورتها السوداء المكسرة والبلوزة البيضاء البسيطة ـ وهي نفس الالوان التي كانت تلبسها امس كما لاحظ ـ جعلتها تبدو كأنها في زيّ رسمي ولو أن كميها القصيرين كانا يكشفان عن ذراعيها، كذلك التنورة المرتفعة بشكل ملحوظ فوق الركبتين. حتى شعرها المجدول بإحكام على الطريقة الفرنسية، كان يضفي شيئاً من الصرامة الكلاسيكية على ملامحها. لكن الأمر لم يكن كذلك، إذ أن هذا الزيّ الصارم أبرز نقاء وجهها ودقة استدارة وجنتيها اللتين بدتا كدرّاقتين ناضجتين.

«لم أختفِ الليلة الماضية، كما ذكرت.» ثم عدل جلسته محاولاً ايجاد وضع أكثر راحة، وركز لائحة الطعام أمامه وأضاف: «كنت احتاج إلى بعض الوقت لاختلي بنفسي. هذا كل ما في الامر. آسف اذا كنت قد أزعجتكما أنت وأمك بخروجي. لكن لم أكن اعلم أن عليّ ان اخبركما عن مكان وجودي.»

www.rewity.com

«من قال ان عليك أن تفعل ذلك؟»

«وما معنى قولك اذاً؟» وحدّق في وجهها الذي بدأ بالاحمرار. هكذا أفضل، فكرّ ناتان، فالتعامل معها وهي مستثارة أسهل من مصارعتها وهي هادئة ومسيطرة على نفسها.

قالت أخيراً: «كانت أمي تنتظر أن تأتي لتسأل عنها. أليس هذا أمراً طبيعياً؟ لقد كانت زوجة ابيك ومهما كان مأخذك عليها يمكنك تحمّلها الآن. لقد صدمت بموت آرون، فقد عاشا معاً أكثر من أربع عشرة سنة! أما كان في إمكانك إظهار شيء من الاحترام؟»

الاحترام؟ كاد أن يسألها أي احترام اظهرت آديل نحوه. لكن انديا ليست مسؤولة عن نفاق أمها. كانت بريئة لا تعرف الكذب والخبث.

«اسمعي. لِمَ لا تجلسين ونتكلم في الموضوع؟» اقترح عليها ذلك وقد رأى لويد يقترب مسرعاً مع قهوته. «ممتاز، هذا ما اريده بالضبط.» قال مبتسماً ذلك للنادل وهو يضع أمامه ابريق قهوة يتصاعد منه البخار، وآخر فيه عصير طازج.

نظر لويد بارتياح وقال: «البيض باللحم البارد حاضر يا سيدي. آسف اذا كنت قد سببت بعض الازعاج قبل قليل، يا سيد كاتريك، لو كنت أعلم...»

قال ناتان متفهماً: «لا عليك. الآنسة كاتريك ستتناول الفطور معي، سجل طلبها اذا سمحت.»

نظرت انديا كما لو أنها سترفض. لكنها رضخت تأدّباً.

«خبز محمص مع قهوة فقط يا لويد.» قالتها بينما كان

يساعدها في الجلوس. وعند انصراف النادل أضافت حانقة: «لا تقرر عني يا ناتان، لم أعد تلميذة صغيرة.»

هوّن ناتان عليها الامر وسكب لنفسه كوباً من العصير.

سألها: «هلا شاركتني؟» مشيراً نحو كأسها. لكن انديا قلبت الكأس رأساً على عقب، ونظرت واجمة من خلال النافذة.

كانت إزاءه في وضع جانبي، مسندة ذقنها بقبضة يدها مما أتاح لناتان ان يتأمل عن كثب اسارير وجهها. بدت منهوكة ومضطربة على الرغم من جمال بشرتها. واستنتج ناتان انها لابد أن تكون قد أمضت ليلة صعبة مع آديل أمس، بعد ان اختفى هو من الفندق.

حكت بأناملها الظلال الخفيفة تحت عينيها فلفت انتباهه قوسا جفنيها الرقيقين. وعندما أمعن النظر في ثغرها، شعر انه قد يفقد السيطرة على الموقف.

أخيراً، قرر ان يتكلم لإزالة التوتر. كانت لهجته هادئة لكن غير ودية عندما دخل في صميم المشكلة. «حسناً، هل تخبرينني من فضلك ما الذي يضايقك؟ لقد فضلت ان امضي ليلة امس وحيداً مع حزني الشخصي على ان احاول مواساة شخص لم يظهر نحوي أية عاطفة. هل هذا ما ازعجك يا انديا؟ الحقيقة، انني لا أحب أن اكون حيث يمكن ان تمرّ آديل وأنت تعرفين السبب.»

أزاحت انديا مرفقها عن الطاولة والتفتت نحوه بشيء من النفور كما خيل إليه. لكنها بخلافه، لم تستعجل الكلام. بدت كأنها تفكر بكلماته بعناية قبل ان يتلفظ بها، وهي ممسكة بعصبية بالمنديل الذي بجانب صحنها.

أخيراً قالت: «أظن أنا، أمي وأنا، نحب ان نعرف ماذا تنوي ان تفعل ب... بالنسبة للفندق...»

قال ناتان مقاطعاً: «الفندق، هذا كل ما يهمك أنت وأمك. آديل تريد أن تعرف اذا كنت سأرميها خارج الجزيرة كما رمتني في السابق.»

اتسعت عينا انديا غضباً وقالت: «لا يمكنك ان تقارن هذه بتلك. وكما أذكر لم تكن والدتي السبب في طردك من الجزيرة. لقد كنت انت من تسبب بذلك! كيف يمكنك حتى ان تذكر ما حدث آنذاك وما يحدث الآن كأنهما متلازمان؟ تباً! لقد عرفت انك تغيرت، لكن لم اعرف إلى اي حد!»

انتفضت وشعرت برغبة قوية في تركه حالاً وهمت بدفع الكرسي والابتعاد عن الطاولة دون اعطائه أية فرصة للكلام. كانت ثائرة، مجروحة في كرامتها، لا ترضى بأي انتقاد يمكن ان يوجه لأمها.

رفع ناتان يده وشدّ على معصمها مرغماً إياها على البقاء. كانت يداها ترتجفان وعيناها مشدوهتين. لكن على خلفية التحدي والغضب كانت تبدو مصدومة مشوّشة التفكير وعرضة للتأثر بتوسلاته ورغباته.

«لا تذهبي.» تمتم رغماً عنه، مواجهاً نظراتها الخائفة بعينيه المتعبتين. عاد لويد حاملاً طعام الفطور. كان النادل بغنى عن اية متاعب جديدة. وقد لاحظ حدّة النقاش بينهما والتي قد تفسح المجال للثرثرة بين الموظفين. إن إمساكه معصم انديا الضعيف ببشرته الرقيقة وعظامه النحيلة، الذي كان يقاوم قبضته، لا يعني شيئاً بحد ذاته. كذلك عندما أزاح قدمه ولامس حذاؤه الرياضي كاحلها.

كان عليه ان يفلت يدها عندما اقترب النادل من الطاولة. لكنه نظر في عينيها مرغماً اياها على البقاء، لم يكن الأمر سهلاً، خاصة عندما بدت عيناها الواسعتان الزرقاوان كأنهما تسبران أعماق روحه. كان يريد ان يستعيد مواقعه بعد ان اصبح موقفه دفاعياً. وفي لحظة ارتخى جفناها وهدأت مستسلمة. صحح ناتان جلسته وتمالك نفسه بحيث بدا طبيعياً وهو يرحب بالنادل الذي وضع الطلب على الطاولة.

«أي شيء آخر؟»

كان لويد حساساً متفهماً للتوتر الحاصل على طاولة صاحبي العمل.

وقد تمكن ناتان من صرفه بلباقة بابتسامة تقدير لخدمته اذ قال: «لا شيء شكراً.»

وأخذ يعالج بالشوكة البيض واللحم البارد في الصحن امامه: «يبدو انه فطور شهيّ.» لو كان لويد ينتظر تأكيد انديا رأي ناتان في الطعام، لكان أصيب بخيبة أمل نظراً للتوتر الذي كان لا يزال بادياً على وجهها. ألقت نظرة سريعة بدون حماس على الطعام، لكن شفتيها بقيتا مسمّرتين. وأحس ناتان أن شهيته تبددت مع تعكر مزاجه.

لم يكن من السهل ان يأكل واندیا جالسة بصمت امامه، وكان عليه ان يبذل جهداً كبيراً لازدراد كل لقمة. وشعر بانه سيقضي عليه إذا تنازل عن موقفه وأعطى آديل ما تسعى وتخطط له. عرف ان خطته اخيراً بدأت تعمل، عندما نقلت انديا نظرها إلى وجهه.

«عار عليك يا ناتان، ان ماقلته لفظيع. أنت تعرف ذلك.»

سألها وهو يتناول قطعة من اللحم البارد: «أليس عندك شيء إيجابي تقولينه؟ لم تسأليني كيف حالك يا ناتان؟ كيف أمضيت هذه الغربة الطويلة؟ ماذا كنت تعمل؟ أو، هل تزوجت وهل عندك عائلة؟»

نظرت في عينيه قائلة: «هل...؟»

«هل... ماذا؟»

«... عندك عائلة؟» اجابت وهي تكز على اسنانها.

«ليس على حد علمي» متعمداً أن يكون جوابه عادياً.

«وزوجة؟ أعني...هل أنت... هل تزوجت؟»

تردد ناتان في الاجابة «متزوج...لا.»

حدقت انديا فيه للحظة وهي متوترة. ثم تناولت ابريق القهوة. كان يبدو عليها الارتباك وتحاول ان تشغل نفسها بشيء لإخفاء انفعالاتها. لاحظ أنها ما زالت تحب قهوتها بيضاء، مع كثير من الحليب، كما يذكرها من أيام الطفولة.

«ماذا عنك أنت؟» سألها بالمقابل مع انه لاحظ عدم وجود خاتم في اصبعها.

«لا شيء.» تظاهرت بالانشغال بفنجان القهوة اتقاء لأسئلة أكثر حميمية. وأضافت: «ليس الآن، على الأقل.» فشعر بشيء من الغيرة لما يمكن ان يعنيه جوابها من احتمال وجود رجل ما في حياتها.

أنهى ما أمكنه من طعام، وأزاح صحنه جانباً. لقد اسكت جوعه الآن، فكر بشيء من المرارة، لكنه ما زال يشعر بفراغ داخلي، بجوع من نوع آخر ليس من السهل اسكاته.

حدقت انديا في فنجان القهوة كما لو كان في امكانه ان

يعطيها الاجوبة التي كان ناتان يخفيها خلف صمته ووجومه. ماذا تتوقع منه ان يفعل الآن، بعد ان اصبح سيد الموقف؟ يمكنه ان يمتلك جزيرة بليكان، لكن هذه الجزيرة مازالت بيتها وموطنها.

كان ناتان مسوقاً برغبة قوية في فهم دوافع ابيه عندما كتب وصيته لمصلحته. خرج عن صمته وقال: «ماذا عن ابي؟ اذا كنت انت تديرين الفندق، ماذا كان يعمل هو؟»

رفعت انديا عينيها عن فنجان القهوة ووضعته في صحنه بهدوء: «كان يمضي معظم وقته في الميناء.»

«ألم يكن يسافر مع أمك؟»

«يبدو انه كان يفضل البقاء في الجزيرة. كان يقول انه اصبح مسناً ولم يعد يفيده التجول حول العالم. وإني اتساءل الآن إذا كان لديه آنذاك احساس سابق بتدهور صحته.»

تصلب وجه ناتان وسأل: «هل كان يستشير طبيباً بانتظام؟»

«الطبيب المحلي فقط.»

«لينوكس؟»

«أجل.»

«لكن لينوكس كان في سن التقاعد عندما غادرت الجزيرة. لعله في الخامسة والسبعين الآن إذا كان ما زال على قيد الحياة.»

«عمره الآن ست وسبعون سنة. لكن أبي لم يكن يريد ان يستشير سواه. قال الطبيب ان حالته جيدة. وقبل ان يحصل له انهيار عصبي، كان يبدو في حالة جيدة.»

«انهيار عصبي؟ ماذا تعنين بذلك؟ هل كان يفكر في الانتحار أو شيء من هذا القبيل؟»

أجابت بعصبية: «كلا. كان يشعر بانحطاط عام من حين لآخر. والطبيب الذي فحصه بعد ذلك قال ان هذا من الاعراض الشائعة لمرضى القلب.»

«تباً! لماذا لم يتصل بي؟ كان يعلم انه يواجه خطر الموت ولم يكلف نفسه حتى ان يخبرني!»

«أظن انه فكر بأن الامر لا يهمك!»

فوجىء ناتان بهذه الملاحظة ذات الاسلوب الأنيق والتهكمي. التفت إلى مصدر الصوت فرأى زوجة أبيه جالسة إلى طاولة مجاورة.

لقد رأى آديل آخر مرة قبل ثماني سنوات كان بعضها مراً وبعضها حلواً. مازالت امرأة جميلة؛ شعرها الاشقر المصبوغ بدا طبيعياً كأن يد فنان ماهر زينته. مع انها في هذه الساعة الصباحية لم يتسن لها ان تهتم بالزينة. ثيابها الأنيقة السوداء لم تخف بعض التجاعيد والنتوءات في جسمها النحيف والتي لا بد ان تظهر في عمرها المتوسط. كان اختيار ملابسها نكياً؛ فكانت تنورتها من الحرير الفضفاض تتماوج حول ساقيها.

كم عمرها؟ تساءل لأول وهلة خمس واربعون؟ ست واربعون؟ لم يكن في يوم من الايام متأكداً من عمرها. عند زواجها من أبيه، كان عمرها موضع جدل، وكانت تتصرف كأنها من جيل زوجها وليس العكس. كان يمكن لناتان أن يشعر بالأسى نحوها، حتى الآن، برغم كل ما صدر عنها بحقه، لو كان في إمكانها ان تضع الماضي جانباً وتعامله باحترام. لكن الشعور بالمرارة كان عميقاً جداً، والملاحظة التي ابدتها الآن هي من النوع الذي ينكأ الجراح المفتوحة بدل ان يساعد على شفائها.

كما توقع، فقد بادرت انديا إلى الاجابة واستلام زمام الحديث، كما لو ان اي شيء تقوله يمكن ان يمحو الاثر السيىء لملاحظة امها.

«أمي! لم أكن اظن انك صاحية الآن. تفقدتك قبل ان أجيء إلى الفندق، لكنك كنت نائمة.»

شعر ناتان برغبة قوية في استغلال كلمات آديل هذه لشن هجوم كلامي عليها. لكنه رأى ان تسجيل النقاط لن يشفي غليله ولن يعيد اباه ثانية. ثم ان هذه المرأة كانت زوجة ابيه وهو الذي اختارها. لذلك فضل التروي في التعامل مع الموقف، وتمالك اعصابه.

بدا القلق على وجه انديا واحس ناتان انها خائفة من ردة فعل عنيفة من ناحيته. ولسبب ما لم يفهمه كانت لا تزال حريصة على سمعة الفندق. وأدرك ان الشجار مع آديل لن يخدم هذه الغاية.

لذلك كظم غيظه وكبت رغبة ملحة بأن يقول لها ماذا يفكر بطريقة استقبالها له. كان جوابه متهكماً بنعومة اذ قال: «ما زلت حساسة كما كنت دائماً، يا آديل. يطيب لي ان اعلم انك مسرورة بعودتي. يجب ان اعترف انني لم أتوقع قط استقبالاً لطيفاً كهذا.»

لوت آديل شفتيها قائلة: «اعتقد انك جئت تتسلى بمصيبتنا. تتدخل في حياة الناس وتستغل خصومتنا استغلالاً بشعاً. لا افهم كيف استطاع آرون ان يفعل بنا هذا. ماذا فعلنا لنستحق هذه المعاملة؟»

كان في إمكان ناتان ان يسأل عما فعل. لكن، لم يكن يهمه نبش سجلات الماضي. فضلاً عن ذلك فقد ارتاح لعلمه انها لا

تزال تكرهه. على هذا الصعيد على الاقل، يمكنهما ان يتفاهما.

«على أية حال، لم اكن اعرف ان لقاءكما الحميم هذا، كان مخططاً ان يتم الآن، يا انديا.» تابعت أمها ببرودة كما لو كانت غير واثقة تماماً من ان ابن زوجها سيجيبها بحسن نية: «مساء البارحة، انكرت معرفة مكان وجوده.»

تدخل ناتان بقوله: «لم نخطط لشيء، ولم تكن تعلم أين كنت الليلة الماضية. اني آسف إذا كنت تسيئين الظن. لكنها ليست مشكلتي. لقد احتجت لبعض الوقت للتفكير في ما سأفعله. والنوم في الشقة الفخمة التي اعطيتنيها، لا يبدو انه يساعد على ذلك.»

«اذاً نمت على الشاطىء بدلاً من ذلك؟ إنه المكان الذي اعتدت عليه أكثر ربما.»

بلع ناتان هذه الاهانة دون تعليق. ثم مرّر يده متحسساً خشونة ذقنه. ربما كان يستحق ذلك، اعترف بأسف. كان عليه أن يستحم ويرتب مظهره قبل ان يعود إلى الفندق.

قال بعد صمت ثقيل: «لا، يا آديل، النوم على الشاطىء ليس من عاداتي. لقد أمضيت الليلة في نادي اليخوت لاستعادة ذكريات الماضي. إن رالف دايفس ما زال يذكرني. جميل ان نرى بعد غياب طويل الوجوه التي ألفناها.»

«اذا كان رالف سمح لك بالنوم في النادي...» بدأت كلامها بحدّة ثم استدركت بسرعة إذ تذكرت ان ناتان هو الوريث. «هل أفهم من كلامك أنك مستعد الآن للحديث عن المستقبل، ام ان علينا انتظار ارنولد هاستنغز ليعمل سكينه في الجرح؟»

سمع ناتان تنهد انديا التي قالت بشيء من التعب: «لا أظن يا أمي أن هناك اية نقطة اختلاف. فمهما كان قرار ناتان، ليس أمامنا خيار آخر سوى قبوله. ومن الافضل أن نحاول التعامل مع بعضنا بطريقة لائقة.»

«صحيح؟» تقوّس حاجبا آديل، ورمقت ابنتها بنظرة ساخرة: «حسناً، على الأقل أنا أعرف ميولك يا انديا. ماذا تأملين أن تربحي من تحالفك السيىء معه؟ أي عرض قدم لك لتنقلبي ضدي؟»

«لا شيء.» أسرعت في الجواب والغضب يلوّن وجنتيها: «أنا أعلم بماذا تشعرين وأتفهم وضعك يا امي. لكن الصراع بيننا لن يحل الامور.»

لم تكلف آديل نفسها عناء الجواب بل نظرت إلى ابن زوجها، وقابل ناتان نظرتها الخاطفة وفي نفسه مزيج من مشاعر متناقضة. أدرك أن آديل بدأت تعرف الآن معنى اليأس والاحباط. وتساءل عمّا تفكر فيه الآن وهي تواجه خصمها اللدود.

«ارجو أن تعطينا الوقت الكافي لإعادة ترتيب اوضاعنا،» تابعت وهي تداعب السلاسل الذهبية حول عنقها بأظفارها القرمزية الطلاء: «فالقليل من المال الذي تركه لنا آرون لا يكفي لتأمين نمط العيش الذي اعتدنا عليه. ثم اني في حاجة لبضعة أيام لأنهي الحداد على زوجي.»

تمعن ناتان بكلماتها صامتاً. وبخلاف ذلك ما شعر به لأول وهلة عندما علم أن أباه أوصى له بالجزيرة، فقد اكتشف الآن ان في امكانه ان يشفق على آديل. لن يسامحها على ما فعلت به. يصعب عليه ان ينسى ذلك.

www.rewity.com

«ومن قال ان عليكما مغادرة المكان، يا آديل؟» وفي لحظات الصمت الحرج الذي تلا قوله هذا، تساءل متعجباً عما دفعه ليقول ذلك. لكن لا مجال للتراجع الآن، فقد قال كلمته. وبرغم ان آديل نظرت إليه نظرة شك واستغراب، فقد كان هناك بعض الارتياح على وجهها.

وعندما بدا أن ابن زوجها ليس بصدد التوسع في الموضوع، سألت: «ماذا يعني ذلك؟ هل تعني ان في استطاعتنا ان نبقى؟»

«قلت لا أحد يجبركما على مغادرة بيتكما.»

ومضت عيناه عندما نظر إلى وجه انديا القلق، وظهر بعد قليل، شعوره بالارتياح لنبل موقفه: «مهما كانت دوافع ابي ليعهد اليّ بمسؤولية الفندق، لا أصدق انه كان يريدني ان أنسى مسؤولياتي الأخرى.»

بدا الارتباك على وجه آديل حيث لاحظ حبيبات من العرق تلتمع. بالطبع كانت تنتظر منه جواباً مختلفاً كلياً.

قالت أخيراً، وقد انفرجت أساريرها: «حسناً. يجب ان اعترف بأنني لم اتوقع منك أن تتصرف بتعقل، يا ناتان. من الواضح ان خبرة الحياة أكسبتك نضوجاً يتجاوز عمرك.» ثم التفتت نحو ابنتها وفي عينيها تأمل بقدر ما فيهما من ادعاء الانتصار.

«بالطبع إن انديا ترحب بقرارك برغم انها كانت متأكدة من أنك تريدنا أن نرحل. لقد وضعتني في جو من الذعر منذ قراءتنا وصية المرحوم.»

الفصل الرابع

تمنت انديا لو أن امها لم تقل ما قالته.

وقفت أمام الباب المفضي إلى الممر خارج غرفتها، تتأمل غروب الشمس وهي تتفنّن في تلوين الحديقة بأشعتها الذهبية. تمنت لو أن أمها لا تلقي اللوم دائماً عليها عند أي سوء تفاهم. لم تكن قد قالت أي شيء يمكن ان يقلق آديل. لم تكن لتفعل ذلك بالتأكيد. لقد شعرت بالاحباط لما قالته أمها عنها أمام ناتان.

لم تكن أول مرة تتصرف فيها آديل بهذا الشكل. في حياة ابيها استخدمتها أمها مراراً بمثابة كبش محرقة عندما كان آرون يكتشف كذبة ما من أكاذيبها. طبعاً كانت قصصاً بسيطة في مغظمها، مثل إلقاء اللوم عليها لانها لم تبلغ رسالة اعطتها اياها آديل، أو الادعاء بأنها كانت مع ابنتها بينما انديا متأكدة من أنها لم تكن معها. كانت آديل تتذرع بسلوكها الشرير هذا، بأن آرون كان متسلطاً، يريد أن يعرف اين هي وماذا تفعل كل دقيقة. بينما هي كانت في حاجة لشيء من الحرية الخاصة. كانت تقول ان على انديا أن تتحملها، فهي من لحمها ودمها، ولو لم تضحّ في سبيل مصلحتها لكانت انديا تعيش الآن في احياء لندن القذرة.

انديا من جهتها، لم تخذل أمها قط. ومهما كانت محبتها لآرون، فإنها لم تكن لتخون أمها من أجله. لقد تخلت آديل

www.rewity.com

عن أشياء كثيرة لتؤمن لابنتها حياة عائلية طبيعية. فقد كان في إمكانها استعادة عملها كعارضة أزياء بعد وفاة والد انديا، لكنها فضلت ان تتفرغ لتربيتها.

بالطبع، لقد أحبت آديل والد ناتان برغم انه كان يكبرها بكثير. ان تركهما الشقة الضيقة في لندن للانتقال إلى البهاماس، لم يكن في الحقيقة تضحية ذات شأن، لكن آديل كانت دوماً تذكر ابنتها بأنه لولا مسؤوليتها تجاهها لم تكن لتفكر في الزواج ثانية خصوصاً من رجل أثبت انه خامل.

مع ذلك، فإن ما حدث هذا الصباح شوّش تفكير انديا. لم تكن آديل مضطرة للادعاء بان ابنتها كانت مشددة على رحيلهما. بخلاف ذلك، كانت أمها في الليلة الماضية متأكدة من ان ناتان «سيرميهما خارجاً» كما قالت. فكيف يمكن ان تتهم ابنتها بإساءة الظنّ بناتان، وهي التي كانت تطمئنها إلى حسن نواياه؟

تنهدت انديا واسندت رأسها إلى العمود البارد للباب. كانت تفكّر بأنه بعد وفاة آرون يمكنهما أن تمضيا وقتاً أطول معاً.

لم تترافقا كثيراً في السنوات الأخيرة وذلك بسبب انشغال انديا بالفندق وسفر أمها المتكرّر والطويل في زيارة أصدقاء في الولايات المتحدة. لم تكن بينهما علاقة كتلك التي بين الشبان وذويهم الذين كانوا ينزلون في الفندق.

كان هناك دائماً شيء من التباعد يضعف العلاقة بينهما.

لكن الآن، بدا أنهما أبعد من أي وقت مضى عن الحياة المشتركة. لم تكن آديل تريد صديقاً، كانت في حاجة إلى

متواطىء معها. وشعرت انديا بالانزعاج من استخدام أمها لها لتكذب على ناتان.

لم ترَ ناتان بقية النهار، لكنها عرفت من السكرتيرة انه امضى معظم الوقت في مكتب ابيه، يراجع حسابات السنوات الماضية. سأل عن النفقات الجارية، عن الأرباح والخسائر وعن تقديرات الوضع المالي للاشهر القادمة. لم يجد أية مشكلة في تشغيل الكومبيوتر. ومهما كان عمله في السنوات الأخيرة الماضية، فإنه كما يبدو لم يكن غريباً عن عالم الأعمال. كان من الواضح انه يريد أن يعرف كل ما يمكن معرفته عن أوضاع الفندق، قبل ان يأتي المحامي. فكّرت انديا في دوافعه وتساءلت ان كان هذا يعني انه يفكر في بيع الفندق في مستقبل غير بعيد. على كل حال، مهما تكن التطمينات التي قدمها لامها، فمن غير الممكن ان يضع مصلحتهما فوق مصلحته الخاصة.

هل تريد حقاً ان تستمر في ادارة الفندق إذا صمّم ناتان أن يبقى في الجزيرة؟ يمكنها الادّعاء انها تعرف ناتان، وأنه كان عملياً غريباً بالنسبة إليها. لكن الواقع الأكيد انه لم يكن كذلك، فأحداث ذلك المساء عندما طرده والده، لم تمح من الذاكرة بعد، لكنها وضعت جانباً. وبرغم انها قررت الا تفكر بها، فإن الصدمة التي سببتها تلك الذكرى ما زالت تؤلمها.

علاوة على ذلك، فقد بقيت اصداء ذلك الحب الطفولي الذي كانت تشعر به نحوه، تتردد بينهما. ربما لأن ناتان رحل، وتلك المشاعر بقيت بشكل من الأشكال دون أن تمحى كلياً. هذا لا يعني انها ما زالت تهتم به ـ ليس كما في

الماضي على الأقل ـ لكنها ما زالت تشعر بحنين غامض لبراءة الطفولة المفقودة.

أما الآن، فهناك واقع انه تجاهل سلطتها، كما فعل عندما وبخ باولو، وعندما دخل لتناول الفطور دون غسل وجهه وحلاقة ذقنه، كما لو كان متعمداً ان يضرب بالنظام عرض الحائط، ليبيّن أنه لا يهتم كثيراً بالادارة. حتى طريقته في مجالستها اثناء الفطور كان فيها الكثير من الوقاحة. لقد بقي معصمها يؤلمها لساعات بعد ان أمسك به، برغم انها لم تجد فيه أي أثر لكدمة.

ربما لم تكن لتشعر بهذا الاعياء لو انها استطاعت أن تنام الليلة الماضية. لكن لقاءها بناتان مجدداً في المطعم زاد في اضطرابها أكثر من أي وقت. لقد ارادت ان تتعامل مع عودته بهدوء وحزم لتثبت له انها لم تعد تلك المراهقة التي عرفها قبل رحيله. لكنها لا تعرف كيف فقدت السيطرة على الموقف. وهي تشعر الآن انها لم تعد تملك زمام الأمور.

حاولت ان تستعيد مشاعرها عندما علمت لاول مرّة بامكانية عودة ناتان إلى الجزيرة. انتابها آنذاك شعور غامض بالخطر وأحست بشيء من الأسف والمرارة. لكن المنطق وحسها السليم أنبآها بإمكانية أن يتصرف ناتان خلافاً لقرار والده. وربما كان حزنها لموت والده وأسفها لوصيته سبب النفور الذي كانت تشعر به وهي في طريقها إلى المطار لاستقبال ناتان. لكن، عندما نزل من الطائرة، تأكدت ان الواقع يختلف عن الأحلام والتصورات.

لقد تغير كثيراً، في مظهره على الأقل. ولأول لحظة وهو

يرد تحيتها بنظرته الرجولية، عرفت فيه بصعوبة ذلك الولد الذي غادر الجزيرة قبل زمن.

المشكلة انه ما زال يفكر أن في إمكانه ان يعاملها كطفلة.

هذا ما ظهر من تصرفه عندما كانت عائدة به من المطار. ألم تتغير كثيراً بنظره منذ تلك الليلة قبل ثماني سنوات؟ أم أنها هي شديدة الحساسية لأي نوع من أنواع النقد؟

ليتها أخذت ستيف معها. كان يريد ان يرافقها، وكان متأكداً ـ أكثر منها كما يبدو ـ أن الموقف لن يكون سهلاً بالنسبة إليها. وكان على حق. فلو ان ستيف كان معها، لما كان لناتان فرصة لإثارتها وجعلها تشعر انها مازالت طفلة كما يريدها أن تكون.

لكن ربما كان ردّ فعلها بعد ذلك مبالغاً. طبعاً، لقد تركها ذلك المساء وهو متأكد من انها منزعجة منه. لو انها تمكنت من السيطرة على الموقف ولم تسمح له بإثارتها كما فعل! لكن ملاحظاته عن وفاة أبيه، كان لا يمكن التغاضي عنها.

بالطبع، كان ردّ فعلها ايضاً سيئاً. لكن الحقيقة هي ان اتهامات ناتان ضربتها على الوتر الحساس فيها، على الرغم من ان آرون بدا متحمساً في البداية عند التخطيط لجعل فندق كاتريك واحداً من الفنادق الأولى في العالم.

بدأت المشكلة وهي لا تكاد تبلغ الرابعة عشرة. كانت أصغر من ان يكون لها رأي ذوشأن. لم يكن لديها إدراك لأبعاد ايحاءات أمها ومخاطرها. كانت ترى الحلم من بعيد دون أن تدرك مضمونه. بالطبع وقعت المسؤولية الضخمة المترتبة على هذا المشروع على كاهل آرون.

تنهدت وفكرت، لعلها كانت انانية مثل أمها. سلمت بهذه الفكره كوسيلة لتخفيف شعورها بفظاعة أعمال ناتان. كانت تريد ان تصدق حقاً تأكيدات آديل أن آرون كان يشعر ببشاعة خيانة ولده. هذا ما يلزمه، قالت امها آنذاك: شيء جديد مثير يساعده على نسيان الماضي نهائياً والتطلع إلى المستقبل. لكن يبدو الآن ان الأمر لم يكن على هذه الصورة وإلا، فلماذا أعاد آرون ابنه ليدخل حياتهما من جديد؟

أكثر من ذلك، فإن آرون كان قد تقبل بصعوبة فكرة خذلان ابنه له. وبرغم تعلقه بزوجته الثانية وعاطفته الصادقة نحو انديا، فقد احتفظ لناتان بمنزلة في قلبه، وهذا ما كان يزعج آديل.

كانت تعتقد دائماً ان ناتان يحب اباه بقدر ما كان ابوه يحبه. لعله استاء من زواج أبيه ثانية. صحيح انه كان يعامل آديل باحترام، لكن لم تكن العلاقة بينهما سهلة كما كانت بينه وبينها هي. أو ربما هكذا كانت ترى الأمور ببراءتها آنذاك. بعد مرور الزمن، كانت قد قررّت ان ميله نحو زوجة أبيه هو الذي كان وراء تصرفاته تلك. هذا الميل الذي اصبح جارفاً والذي كان يعتقد انها تبادله بالمثل.

لكن كيف أمكنه أن يتصور أمرا كهذا، ذلك ما لم تستطع انديا أن تفهمه. لم تكن غافلة عن اخطاء أمها، لكنها لم تستطع أن تتصور ان آديل قد تكون شجعت محاولاته، الأمر الذي تأكد صباح أحد الأيام، عندما ظهرت أمها هاربة من الحجرة وهي تصرخ. في ذلك الصباح المشؤوم، انكر آرون ابنه إلى الأبد.

لم يدم غضب آرون طويلاً بعد رحيل ناتان، اعترفت انديا الآن. لكن، لا أحد وخصوصاً أمها، كان يتوقع من آرون أن يفعل ما فعله اخيراً. أن يجعل ناتان وريثه، أن يعطي ابنه كل ماتعبت آديل وانديا في صنعه. كان أقرب ما يكون إلى الجريمة بنظرهما. وواقع ان آديل لم تقدّم أية مساهمة مالية في المشروع لم يكن بذي أهمية كما كانت تؤكد. لقد اعطت آرون كل شيء وهو لم يترك لها فلساً واحداً.

حسناً، لم يتركها معدمة تماماً، أقرت انديا، متذكرة بوليصة التأمين الضخمة التي تركها آرون وجعل أمها المستفيد الوحيد منها. لكن هذا شيء تافه بالمقارنة مع قيمة جزيرة بليكان. وبدون كرم ناتان، سيجدان من الصعب عليهما اعادة بناء حياتهما. ما معنى كرم ناتان؟ أما زال يحن إلى أمها بعد كل تلك السنين، وماذا يكون موقف آديل في هذه الحالة؟

ارتعشت انديا لهذه الخاطرة. فمجرد التفكير باحتمال كهذا كان يثير اشمئزازها. إلى جانب ذلك، لاحظت متذكرة، ان ناتان قبل ظهور آديل في المطعم ذلك الصباح، كان يتجنب عمداً الحديث عن المستقبل. لقد سألته عمّا ينوي ان يفعل فتهرب بشكل واضح من الاجابة. لكن، عندما وصلت أمها إلى الطاولة، أسرع في تطمينها.

لم تعلم انديا ماذا حصل بعد ان ابدت أمها تلك الملاحظة التافهة حول سلوكها. فبدلاً من أن تبقى هناك لتسمع المزيد من الأكاذيب، اعتذرت وتركتهما. وبكل بساطة أمضت بقية النهار وهي تتجنبهما.

رفعت انديا شعرها عن رقبتها. بدت الحديقة مظلمة

بينما كانت شمس الأصيل الشاحبة تلقي ظلالاً طويلة بين أشجار النخيل. أحسّت ببرودة جليدية تغمر قلبها.

هل صحيح ان آديل حضرت قبل أسبوعين فقط لقراءة وصية زوجها بثياب الحداد وبوجه شاحب مؤثر؟ طبعاً، كان هذا مظهرها قبل أن تعرف مضمون الوصية أي قبل أن يفجر السيد هاستنغز قنبلته في وجهها.

بالطبع، لقد حطم اعصابها إعلان السيد هاستنغز محتوى الوصية. فتحولت بسرعة تلك الأرملة الوقور المتظاهرة بالحزن إلى امرأة هائجة مستنكرة يغلب عليها الشعور بالمرارة. تركت المكتب وشفتاها ترتجفان غضباً واقسمت انها ستطعن في الوصية التي اعتبرتها مزوّرة.

بالطبع، أكد لهما المحامي انها لم تكن مزورة. وعندما هدأت أمها قليلاً حذّرها من أي تصرّف من شأنه أن يضر بفرص الحوار مع ناتان بصورة ودية. وكانت نصيحته لها التريث في انتظار تطورات لاحقة.

لم تستطع انديا حتى الآن فهم التحولات الأخيرة في سلوك زوج أمها. هل كان تعيساً إلى هذه الدرجة؟ ما الذي دفعه إلى اتخاذ قرار بنفي ابنه؟

رنّ جرس الهاتف في الغرفة، فأسرعت للاجابة وهي تشعر بارتياح لهذا الحدث الذي اخرجها من افكارها السوداء. عليها ان تكون جاهزة الآن في اية لحظة لتناول العشاء مع السناتور ماركهام وزوجته، والذي كان قد تأجل الليلة الماضية. لكن أي تأخير الآن، يكون مقبولاً فهي لم تعد على عجلة من امرها لترى ناتان ثانية.

خطر في بالها وهي ترفع السماعة ان ناتان بالذات قد يكون على الهاتف. لكن، لم يعد في الإمكان التهرب الآن.

«نعم، انديا كاتريك.» أجابت بصوت مضطرب وسرعان ما بدا عليها الارتياح اذ سمعت صوتاً مألوفاً: «حقاً؟ من دون مزاح. اعتقدت انك تركت الجزيرة!»

«ستيف! عدت ثانية!»

أجاب ستيف وايتني: «أنا هنا منذ الثانية بعد الظهر. أين كنت؟ اني أحاول الاتصال بك منذ ساعات.»

تمتمت: «كنت مشغولة.» وهي تعلم ان جوابها غير مقنع. لكن، لم يكن لها مزاج للحديث عن مشاغلها وهمومها مع ستيف، في الوقت الحاضر على الأقل: «كيف كانت رحلتك؟ هل وفقّت بصيد سمين؟ كنت انوي الذهاب إلى الميناء، لكن لم يكن لديّ وقت.»

في الحقيقة، كان لديها وقت فراغ اليوم، بحيث لم تعرف كيف تمضيه. كانا صديقين هي وستيف منذ انضمامه إلى طاقم الميناء قبل ثمانية عشر شهراً.

أجاب ستيف: «اصطدنا سمكتي مارلين.» واصفاً بايجاز الرحلة البحرية الليلية التي قادها.

منذ وفاة آرون، اصبح ستيف مسؤولاً عن زبائن زوج أمها في النادي. وعلى الرغم من انه لم يكن ذلك القبطان القديم فقد كان ذا خبرة وكفاءة ومحبوباً في اوساط الفندق. في الواقع، كان يستهوي الاناث من الزوّار بشكل خاص نظراً لحسن محياه وسهولة معشره. فهناك دائماً سيدتان أو ثلاث على الأقل في المخزن عندما يكون باستلام ستيف.

سأل بلهجة تنم عن الاهتمام: «ما أخبارك أنت؟ سمعت ان اخاك العائد سبّب الكثير من الاثارة.»

أرادت أن تصحح قوله: ليس أخي! بل ابن زوج أمي. لكنها ابتلعت الكلمة التي ترددت على طرف لسانها. كانت تفضل ألا تفكر بالسبب الذي دفعها لا شعورياً لتحديد صلة النسب التي تربطها بناتان بوضوح. فضلاً عن ذلك فإن ستيف يعرف ان ناتان ليس قريباً لها، ليست قرابة دم على أية حال. لكن، ما أهمية ذلك الآن؟ لاشيء.

سألت بعد صمت، متجنبة الاجابة مباشرة: «ماذا سمعت عن ذلك؟ انه هنا منذ اربع وعشرين ساعة فقط؟»

تردّد ستيف وقال: «سمعت انه امضى ليلته في الميناء. وكأن الغرفة التي اخترتماها له في الفندق غير مرضية.»

«لا أظن ذلك صحيحاً تماماً. لا انكر انه امضى ليلته في الميناء، لكن ربما الجو الخاص الذي يؤمنه رالف دفعه لهذا واذا لم اكن مخطئة، اني أذكر انك كنت أيضاً تنام في النادي أحياناً.»

«لم ينم في النادي.» ردّ ستيف بعصبية، منزعجاً كما يبدو من تذكيرها اياه بمغامراته الخاصة وأضاف: «لقد نام في يخت والدك، فقد وجد أوراس القمرة مفتوحة عندما تفقده هذا الصباح.»

قطبت انديا جبينها. ليس مهماً اذا كان ناتان قد نام في اليخت لكن، كان في إمكانه ان يقول ذلك. فالمركب لم يمسه أحد الا للتنظيف، منذ وفاة آرون.

تابع ستيف بحذر: «يبدو كأنك لن تتركي الجزيرة على أية حال، اليس كذلك؟ هل تصالح مع أمك؟»

اعترفت انديا بشيء من الانزعاج: «هذا ما يبدو على أية حال، عندنا الآن متسع من الوقت للتفكير.» وأضافت متمتمة بينها وبين نفسها: بمقدار ما تشاء آديل؛ فحسنات وسيئات الاقامة هنا لم تعد واضحة كما كانت في السابق.

«ماذا تخططين للعشاء؟»

شعرت بارتياح لتغييره مجرى الحديث، فتابع قوله: «عندي كركند طازج، افكر بشيّه مع عصير الليمون الحامض والزبدة. يمكنني تقديمه مع المشروب المناسب. لا شك انه سيلائم ذوقك الرفيع.»

قالت: «فكرة رائعة للعشاء.» لكنها تذكرت فجأة موعدها مع السناتور ماركهام فاستدركت: «لكن، للاسف...»

أجاب ستيف بحذر: «ما الأمر؟»

قالت منزعجة: «لا استطيع، لا يمكنني تناول العشاء معك. لدي موعد سابق.»

قال بحدة: «ما الموضوع؟ مشكلة عائلية؟»

«كلا، لقد وعدت بتناول العشاء مع السناتور ماركهام وزوجته، يريد مناقشة فكرة عقد مؤتمر انتخابي هنا في كانون الأول (ديسمبر)، يجمع محازبيه وزوجاتهم. يريد أن يكون كل شيء منظماً قبل عودته غداً بالطائرة.»

«لماذا لا تطلبين من أخيك الاهتمام بهذه المسألة. أنا أفهم اهتمامك بالعمل من دون كلل عندما كنت تظنين أن الفندق سيؤول إليك. لكن الوضع تغير بعد ان اظهرت وصية

العجوز مدى تقديره لجهودك. هذا، إذا لم نفترض الاسوأ كأن يستغني عن خدماتك.»

عضّت انديا شفتها وقالت: «لا يمكنني ان اكون معك للعشاء، يا ستيف.»

«تعنين انك لا تريدين...»

«لقد وعدت السناتور...»

«وماذا كان قد وعدك ابوك؟ ام انك لا تريدين التفكير بهذا ايضاً؟»

«يمكننا ان نلتقي بعد العشاء.»

أجاب بحدّة: «صحيح، يمكننا... لكنني قد اكون مشغولاً بموعد آخر. مفهوم؟ إلى اللقاء.» واقفل الخط.

كانت انديا تضع اللمسات الأخيرة لتزيين وجهها عندما ظهرت امها عند باب غرفتها. قالت معتذرة ومشيرة بيدها إلى الباب الخلفي بعد ان لاحظت الانزعاج على وجه ابنتها: «لقد طرقت الباب لكنك كما يبدو لم تسمعيني.»

«كما يبدو...» ردّت انديا وهي تحاول اخفاء غيظها. على أية حال ما ذنب أمها إذا كان ستيف قد اظهر قلة تفهم لوضعها. لاحظت ببرودة هندام امها وقالت: «تبدين جميلة.»

«جميلة!» قالت امها وكأنها اعتبرت ان هذه الكلمة لا تفيها حقها. ومرّرت يديها بنعومة على الساتان الفاخر العنبري اللون الذي كان يخفي بحذق نحافة وركيها. «عزيزتي، اهذا أفضل ما لديك من اوصاف؟ ظننت انني ابدو ساحرة!»

وضعت انديا جانباً المكحلة التي كانت تستعملها واستدارت نحو أمها قائلة: «إنك كذلك بالطبع. أعتقد انك

في وضع افضل الآن. هل تريدين الانضمام معي إلى مائدة آل ماركهام للعشاء؟»

«لا،» وفكرت انديا لو ان ستيف هنا لاستحسن جواب آديل التي اردفت: «في الواقع، سأتعشى مع ناتان. يريد ان يحدثني عن خططه بالنسبة للفندق، قبل أن يصل ارنولد صباحاً.»

شعرت انديا بفورة من الألم والغيظ تغمر كيانها عند سماعها هذه الكلمات التي لم تتوقعها. لهذا إذاً، اعتنت آديل كل هذه العناية بمظهرها، بينما في الأسبوعين الأخيرين قلما كانت تهتم بذلك؟ بالطبع ان صورة الأرملة الحزينة تغيرت كثيراً عندما علمت بدخول ناتان على الخط.

«هل تعتقدين ان هذا تصرف حكيم؟» تجرأت وسألتها ذلك وهي تستدير نحو المرآة بحيث لا تضطر للنظر في عيني أمها: «أعني بعد الذي حصل قبل أن يطرد أبي ناتان. ماذا سيظن الناس عندما يرونكما معاً؟»

ردت آديل بايجاز: «الأمر مختلف الآن، كنت امرأة متزوجة آنذاك.»

ذكرتها انديا بالتحديد: «كنت زوجة أبيه وأنت الآن أرملة أبيه. ما الفرق؟»

«الفرق اننا جميعاً كبرنا وصرنا اكثر تعقلاً.»

«لكن، الا تظنين ان تحولك المفاجيء قد يثير استغراب البعض؟»

«أتظنين انني اهتم بما يفكر فيه بعض صغار العقول من الخدم والعجائز؟» لمست آديل بيدها شعرها المصبوغ حديثاً والذي اصبح بنعومة وبياض غزل البنات، وأضافت:

«لا تنظري إليّ هكذا يا انديا. تذكري فقط انه لولا أمك لكان عليك ان تكافحي بقية عمرك لتأمين معيشتك.»

تمتمت انديا: «ملايين الناس يفعلون هذا.» لكن امها سمعتها فردت:

«صحيح. لكن ليس من عاش في بحبوحة طوال الخمس عشرة سنة الماضية. صدقيني يا انديا، لا يمكنك أن تعيشي في أي مكان، ما دمت بهذه العقلية. سأفعل أي شيء عليّ ان افعله لتأمين حياة لائقة لنا. وإذا كان هذا يعني ان عليّ التغاضي عن كبريائي والاعتراف بجميل ناتان فماذا اخسر على أية حال؟»

قلبت انديا شفتيها. لم تكن تعرف في الحقيقة لماذا تناقش أمها. عندما ذهبت ظهر أمس لاستقبال ناتان، كانت مستعدة للقائه في منتصف الطريق. لكن الأمور تعقدت منذ لحظة نزوله من الطائرة. حاولت أن تقنع نفسها ببساطة أن التغيرات في شخصيتيهما هي سبب المشاعر غير المريحة التي كانت تواجهها. لكن حدسها كان ينبئها بأن الموضوع أبعد من ذلك. وشعرت في أعماقها بأن ناتان يقصد المتاعب. ولا شيء مما حدث حتى الآن كذب ظنونها.

«حسناً،» قالت أخيراً، وهي تراقب مظهرها بشعور متزايد بالكآبة رأت نفسها باهتة وبهرجتها عديمة الذوق ازاء ألوان آديل الناعمة. حتى الفستان الأسود الضيق الذي كانت تزهو بلبسه، بدا لها الآن غير مناسب للون شعرها. أخيراً قالت باقتضاب: «سهرة موفقة.»

قالت آديل: «بالتأكيد. لك أيضاً.» واستدارت منصرفة

مخلفة وراءها موجة من عطر ديور اقتحمت أنف انديا. ثم توقفت لحظة عند الباب مستدركة: «سأخبر ناتان انك تهتمين بمصالحه. هل لديك مانع؟ انني متأكدة انه سيتأثر لذلك.»

«كلا، أنا...»

بدأت انديا تقول لها ألا تأتي على ذكرها أبداً، لكن آديل كانت قد انصرفت.

www.rewity-romance.com

الفصل الخامس

صبّ ناتان لنفسه المزيد من الشراب واسترخى في مقعده، متظاهراً بالاصغاء للموسيقى التي كانت تسمع بوضوح في الشرفة الخارجية. كان عليه ان يعترف بأن انديا على حق بشأن كارلوس الذي كان عازف بيانو ممتازاً. لكن ما شغل انتباهه في الحقيقة، كان مجموعة من جلساء طاولة في طرف المنطقة المخصصة للعشاء.

السناتور الأنيق الذي يبدو في عمر الخمسين، بدأ يثير اهتمام جليسته الشابة. كان ناتان قد سمع عن وودرو ماركهام، ورأى صورته في الصحف عدة مرات. كان يظهر في الصور عادة بصحبة امرأة جميلة. ويظهر ان نجوم السينما والعارضات والمضيفات، عندهن نقطة ضعف أمام جاذبيته. كانت شعبيته النسائية كبيرة ولم يكن سراً ان زوجته الفتية اعتادت ان تغض الطرف عندما تلتقي عينا زوجها احدى الفاتنات.

كانت انديا جذابة بالتأكيد، فكر ناتان بشيء من الانزعاج، وهو يراقب رد فعلها لطرفة كان السناتور يرويها. تباً، إنها امرأة جميلة، ناضجة وقادرة على ان تثبت وجودها مع شخصية معروفة مثل وودرو ماركهام. ما معنى شعوره بأنه يكاد ينفجر غضباً؟ لماذا أحس ان اصابعه متلهفة لسحب الرجل من مقعده، وقبضته تتوق لتحطيم أسنانه واخماد ابتسامته المغرورة المتأنقة؟

ضحكت انديا فجأة واجتذبت رنّة صوتها انتباه العديد من روّاد المطعم الذين التفتوا نحوها. بدت الآن في أحسن حالتها، فكر ناتان بشيء من الكآبة. إن هذا الكعك من ذاك العجين، وكما تكون الأم تكون البنت. لماذا كان يتوقع غير ذلك؟

حاول ناتان ان يصرف انتباهه بعيداً عن مصدر انزعاجه. سحقاً، لقد طلب من زوجة ابيه ان تتعشى معه على أمل ان يستنبش الأسباب التي دفعت اباه لتغيير الوصية لصالحه. لكن، منذ دخول انديا متوجهة نحو الطاولات الخاصة المضاءة بالشموع، لم يعد في امكانه التركيز على أي شيء آخر.

قال لآديل: «إن لماركهام تأثيراً خاصاً على النساء.»

انفرجت شفتا آديل عن ابتسامة فيها شيء من الخبث وقالت مصححة: «على بعض النساء... أجد أن طيبة وودرو مبالغ فيها.»

«مع ذلك، يبدو انها تؤتي ثمارها.» أكد ناتان بصورة لاشعورية على الرغم من محاولته تجاهل الموضوع. وأردف سائلاً: «هل تعرفينه جيداً؟ أهو من نزلاء الفندق بصورة منتظمة؟»

هزت آديل كتفيها النحيفتين. كانت ترتدي سترة مذهبة فوق فستان من الساتان الناعم دون أن تنجح تماماً في اخفاء عظامها البارزة تحت جلدها. أكدت وهي ترفع الكأس نحو شفتيها: «يأتي إلى هنا مرتين في السنة. العديد من حكام الولايات يأتون إلينا من وقت لاخر. نحن نجتذب أرقى الطبقات يا ناتان. حتى نائب الرئيس اتى لزيارتنا.»

قال بدون حماس: «شيء جميل.»

«أجل، كان هذا من مدّة بسيطة. نائب الرئيس وزوجته رائعان. وقد تناولت الشراب معهما ذات مساء، وأبديا اعجابهما بنجاحنا.»

تفرّس ناتان في وجهها وقال بشيء من السخرية: «أصدقاء في مراتب عالية! طموحاتك كبيرة هذه الأيام، يا آديل.»

قالت بتواضع: «ما ذنبي إذا كان الناس يستمتعون بصحبتي.»

«لماذا تريدين منعهم من ذلك؟ لكن، اظن اننا مختلفان في القصد، يا أمي. كنت اتكلم عن الرجال.»

«لست أمك ولا استسيغ مزاجك يا ناتان. واذا كنت تلمح إلى ان علاقتي بنائب الرئيس كانت تتجاوز اللياقات...»

قال مقاطعاً كلامها: «ماذا بشأن ماركهام؟»

حدقت فيه ببرودة وقالت: «لا بد انك فقدت صوابك كما أظن. لمجرد انك اسأت فهم عاطفتي نحوك ذات مرة. يجب ألا تحكم على الناس بمقاييسك الخاصة!»

أجاب ناتان بحدّة: «لم أسىء فهم أي شيء. وأنت تعلمين ذلك. إذاً لا تسمحي بحدوث أي توتر بيننا. كلانا يعرف حقيقة ما حدث ومن الأفضل ان ننسى ذلك.»

امتقع وجه آديل وقالت: «عن إذنك...» التقطت حقيبتها وهمت بمغادرة الطاولة. لكن ناتان أوقفها بقوله: «لن أسمح لك ولن اسامحك. ولكنني مستعد للتسامح بشأن بقائك هنا لمصلحة اندیا و... إذا أردت ان تبقي في الجزيرة اقترح عليك التوقف عن خداع نفسك وقبول الأمر الواقع.»

أجابت وهي ترتجف غضباً: «كيف تجرؤ على التحدث معي هكذا؟ لو عرف أبوك بعض ما قلته لي لكان قتلك!»

«أتظنين ذلك؟ لو انني اخبرته كيف كنت تطاردينني لكان قتلك بالتأكيد!»

«ما كان ليصدقك ابداً.» أجابت آديل وهي تعيد حقيبتها إلى مكانها. ثم اضافت مستفيدة من اقراره الصاعق بهذه الحقيقة: «علاوة على ذلك، فقد كنت مخطئاً. كان رد فعلك غير مبرّر. هل كان في امكاني ان أعلم ان مظهري بثياب النوم سيثيرك إلى هذا الحدّ؟ لقد كنت بمثابة أمك يا عزيزي. كنت اريدك فقط ان تحبني.»

قال بازدراء: «أحبك؟ أي اقيم علاقة حميمة معك؟ مسكينة آديل. أنت في حاجة إلى العطف دائماً! اني اتساءل الآن ما كان هدفك عندما لاحقتني بذلك الشكل؟»

التفتت نحوه بغضب وشعر انها متحرقة لصفعه في هذه اللحظة. قالت: «إخرس! أنت اردتني، يا ناتان. وضعت يدي عليك، اتذكر؟ شعرت بردّة الفعل لديك.»

قال بسخرية: «اتظنين انك اثرتني حقاً؟ إن هذه الحالة تتكرر طبيعياً كل صباح، بمشاركتك أو بدونها!»

تراجعت في جلستها إلى الوراء: «أنت تثير الاشمئزاز.»

وأنت مراهقة دائمة. متى تنضجين حقاً؟ في امكانك ان تخدعي كل الناس، لكن إلى حين.»

انتهت الموسيقى بمقطع جميل. وفي فترة الاستراحة كانت صحونهما قد فرغت. اقترب النادل متوجهاً بالسؤال إلى آديل دون ان يهمل ناتان: «اتريدين القاء نظرة على لائحة الحلوى، يا سيّدة كاتريك؟»

«قهوة فقط. شكراً.» واومأ ناتان برأسه موافقاً. لقد كان مساء حاراً. حتى المراوح الضخمة المعدّه لتبريد المطعم،

www.rewity.com

كانت تحرك الهواء الساخن فقط. فكّر في حل أزرار ياقته وارخاء ربطة عنقه، عندما لفت نظره فجأة الرجل الذي توقف عند طاولة السناتور ماركهام، وهو طويل، أشقر وعريض المنكبين. كان من الضخامة بحيث بدا السناتور إزاءه ضئيلاً، وكان واضحاً انه معروف من الجميع. بدت انديا متحمسة لرؤية هذا الشاب بشكل خاص وشدّت على يده تحت الطاولة بعيداً عن نظر ماركهام، وهزّت برأسها كأنها توافقه على أمر ما.

«من يكون ذلك الرجل؟» أشار ناتان نحو الطرف الآخر من القاعة، محاولاً الاّ يلفت انتباه آديل لما كان يقلقه، لكنه لم يستطع كبت هذا السؤال.

قالت بعصبية: «من؟»

«عند طاولة السناتور. أتعرفينه؟»

نظرت آديل بازدراء وظهرت على شفتيها ابتسامة ماكرة: «أوه. تعني ستيف.» وعرف ناتان انها شعرت نوعاً ما بعدم ارتياحه: «ستيف وايتني. ألم تقابله بعد؟»

«طبعاً لا. ماذا يعمل؟ يدير الآلات، يقوم بالتدليك، ماذا؟ إنه يبدو من هذا النوع. اليس كذلك؟»

نظرت آديل ثانية نظرة تقدير للرجل، وقالت: «إنّ اباك استخدمه لقيادة أحد مراكب الرحلات وفي أوقات فراغه يعمل في نادي اليخوت.»

«لم أره هناك الليلة الماضية.»

«لم يكن في امكانك ان تراه، فقد انطلق باكراً في رحلته الليلية.»

هزّ ناتان رأسه دون تعليق. كان مشغولاً بمراقبة ما

يجري على طاولة السناتور. لاحظ بانزعاج شديد ان السناتور دعا وايتني للانضمام إليهما، فجلس هذا بجانب انديا التي اشرق وجهها ترحيباً.

أحس ناتان ان آديل كانت ما تزال تراقبه، واعطاؤها هذا النوع من السلاح لم يكن امراً مستحسناً. لكن لم يكن في امكانه تلافي هذا الوضع. شعر كأن عينيه مسمّرتان إلى طاولة السناتور ماركهام. ولم يستطع ان يزيح بصره عنها حتى احضر النادل القهوة.

وبعدما وضع القهوة وانصرف، أسرت آديل بقولها: «انهما صديقان. وعلاقتهما حميمة جداً.»

كأنها مسرورة بهذا الأمر المسلم به، فتابعت: «لقد كبرت ابنتنا الصغيرة وتغيرت كثيراً منذ سفرك، يا ناتان.»

تجهّم وجهه لكنه حاول ان يخفي غيظه لعلمه ان أي ردّ فعل يظهره سيكون له جواب سريع لدى آديل المتربصة به. قال بهدوء: «حقاً هما كذلك؟»

«وأكثر مما تظن!»

نظرت آديل إليه باستخفاف: «لا تدّع انك غير مهتمّ باندیا. لقد لاحظت نظراتك نحوها وانزعاجك لرؤيتها مع ستيف. ما المشكلة يا ناتان؟ أهي الغيرة؟»

«انه مجرد...فضول. أظن الآن، وبعد وفاة أبي انني أشعر ببعض المسؤولية تجاهها.»

«يا للشهامة! أتظن ان هذه الكلمات تنطلي عليّ؟ أتعتقد انني لم ألاحظ ما كان يجري قبل رحيلك من هنا؟ كانت طفلة بريئة عندما جعلتها تتعلق بك. لماذا تظن انني فصلتكما عن بعضكما؟ لأني كنت خائفة من ان تستغل سذاجتها.»

انتفض ناتان وقال بعنف: «انت غير طبيعية، يا آديل، كانت انديا بنت ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة عندما غادرت. كانت أصغر بكثير من ان تفهم شيئاً عن العلاقة الحميمة!»

«صحيح، لكن أنت لم تكن كذلك.» لاحظت آديل برقّة، وكأنها عرفت بكلماتها هذه، كيف تضرب على الوتر الحسّاس لديه.

قال: «من المؤسف انها لا تعرف أية امرأة هي أمها. ربما كان عليّ أن اخبرها.»

أجابت آديل بهدوء: «ما كانت لتصدقك ابداً.»

بدأ عازف البيانو وصلة جديدة. وبذل ناتان جهداً ملحوظاً لاستعادة اتزانه قال لنفسه أية أهمية لما تقوله آديل أو لما تفكر به انديا؟ ما دام هو الذي سيضحك اخيراً. ربما لن يعرف أبداً حقيقة موقف أبيه وشكوكه. لكن، يبقى واقع ان العجوز ترك له الجزيرة والفندق ليشغلهما أو ليقفلهما إذا شاء!

سكتت آديل عن ذكر انديا لتقول اخيراً: «المهم، هل قررت ماذا ستفعل؟»

تنفس بعمق، وقال: «بماذا؟»

«بالفندق طبعاً. لا اظن انك تعرف شيئاً عما تتطلبه ادارة فندق بهذا الحجم. واذا عدت لرأيي، أترك هذه المهمة لانديا وللمهنيين الذين نستخدمهم.»

لم يستطع ناتان السكوت على تعبيرها هذا فصحّح بشكل قاطع: «أنا استخدمهم يا آديل. لكنني لم اقرر بعد ما أنوي ان افعل.»

«لكنك تنوي ابقاء الفندق مفتوحاً.»

«ربما.»

«ماذا تعني بقولك؟»

أجاب وهو يهز كتفيه: «لم أصمم نهائياً بعد. ليس هذا الفندق الذي كنت اعرفه سابقاً. لم أكن ملزماً ان اضع ربطة عنق لتناول العشاء ولم يكن هناك كل هذه التعقيدات للصيد أو القيام بنزهة بحرية.»

حبست آديل نفسها ثم قالت: «هل لديك فكرة عن شعبية هذا المكان؟ ولماذا يعمل بقدر ما تعمل ستة منتجعات مماثلة مجتمعة؟ الناس يقفون في الصف للحجز هنا. كان ابوك مليونيراً يا ناتان. لم يصبح كذلك من تموين البحّارة الفقراء الذين قلما يهتمون بما يأكلون وما يلبسون.»

«لا، يا آديل. لقد غيرت كل شيء في المنتجع. كان حلم أبي أن يرى جزيرته روضة صغيرة لإيواء وتموين أناس طيبين مثله. لقد افسدت حلمه المتواضع بمشاريعك. صحيح كما قلت، لم يصبح مليونيراً من عمله الذي كان يحبه. لكنني اتساءل، هل كان حقاً يريد ان يصبح مليونيراً؟»

نهضت انديا وصديقها لاستئذان السناتور ماركهام وزوجته في اللحظة التي وصل فيها ناتان إلى طاولتهم.

«سناتور، سيدة ماركهام،» حيّا بأدب قبل أن يلتفت للآخرين. «انديا، أتساءل إذا كان بالامكان أن نتحدث قليلا. أود أن أنهي بضعة أمور قبل أن يأتي هاستنغز صباحاً.»

ارتبكت انديا بوضوح لهذه المفاجأة. وعرف ناتان برغم حالته، انه المسؤول عن ذلك.

«سناتور، هل تعرف أخي؟» فالتفت هذا ملقياً على ناتان

نظرة شك وتردّد. فكّر ناتان انه لو كان محل السناتور، لما سمح لنفسه بأن يتصرف بهذه الخفة. أما وايتني فلا شك ان راتبه أهم بالنسبة إليه من كرامة انديا.

«لا أظن اني اعرفه، تسرني رؤيتك يا سيد كاتريك. ان فندق عائلتكم هنا رائع حقاً.»

أجاب: «شكراً.» ملاحظاً انديا التي كانت تراقبه بعينين قلقتين.

«اختك والشاب وايتني كانا على وشك الذهاب للقيام بنزهة على الشاطىء. أنا متأكد من ان حديثك معها، مهما كان، يمكن تأجيله إلى الغد، أليس كذلك؟»

أجاب ناتان: «أخشى الا يكون كذلك.» شاعراً انه قد يبدو فظاً في موقفه هذا. لكن، لم يكن في يده حيلة. التفت إلى انديا ثانية ولاحظ نظراتها العدائية نحوه. لكنه تابع دون ان يكترث لذلك: «ارجو ان تعذرونا. عن اذنك يا وايتني. إنها مسألة عائلية. أنا متأكد من تفهمكم للموقف.»

دلّت تعابير القلق في وجه انديا على حراجة موقفها. كانت ترجو الا يذهب ناتان بعيداً في تدخله المفاجىء.

رفع وايتني كتفيه العريضتين موافقاً على الانصراف. «حسناً، اذا كانت المسألة بهذه الأهمية...»

أكد له ناتان: «انها كذلك.» ثم وضع يده حول ذراع انديا ليؤكد لها انه يعني ما يقول. انتفضت بسرعة لتجنب أي احتكاك به، وانسحبت بحيث اصبح ستيف وايتني بينهما.

أكد ماركهام آسفاً: «يبدو انه ليس لك خيار يا انديا. لكن العمل اهم، كما علمتني التجربة. اليس كذلك يا لوريتا؟»

أجابت: «هذا صحيح، يا وودي.» بدا وودرو مستاء

للطريقة التي لفظت بها زوجته اسمه. وتوجه إلى ناتان بقوله: «أسفنا جداً لخبر وفاة ابيك، يا سيد كاتريك. كان رجلاً طيباً، سنفتقده حقاً.»

«شكراً.» تمتم ناتان، بينما تابع السناتور مجاملاً:

«لقد أمضينا أنا ولوريتا أوقاتاً طيبة هنا في السنوات القليلة الماضية. عاملنا ابوك وخالتك معاملة ممتازة. دون أن انسى بالطبع اختك الصغيرة.»

حاول ناتان ان يخفي رغبته في السخرية. فمجاملة السناتور الذكي عند ذكره لابيه، لم تعن له شيئاً كثيراً. شعر بالاشفاق على لوريتا، فزواجها من شخص مختلف عنها إلى هذا الحد، جعلها تتحول إلى مجرد ديكور تافه في حياته. فهي كما يبدو تعيش في ظله مكرهة على لعب دور ثانوي مع رجل لا يعاملها باحترام.

قالت انديا: «طابت ليلتكم، مجدداً.» موجهة ابتسامة اسف لستيف، بينما كانت تنظر شزراً نحو ناتان. «اذا لم اتمكن من رؤيتكما قبل مغادرتكما، أتمنى لكما سفراً سعيداً. سأكتب بناء على طلبك يا سناتور. أرجو ان تجيبني سكرتيرتك حالما تقرر الموعد النهائي.»

«هذا ما ستفعله بالتأكيد.» شدّ السناتور طويلاً على يد انديا وانتقل لمصافحة ناتان: «أرجو ان اراك في زيارتي القادمة يا سيد كاتريك. ربما يمكننا التعاون في عمل ما. لقد حصلت على قطعة أرض في اريزونا تناسب مشاريعك المستقبلية.»

نظر ناتان باستغراب. حتى هذه اللحظة كان يفترض ان السناتور لا يعرف شيئاً عن مشاريعه، مثل انديا وأمها. لكنه

اخطأ الظن. فماركهام كما يبدو، مهتم بمعرفة كل شيء عن الذين يتعامل معهم، وعندما اعلنت الصحف ان ناتان اصبح المالك الجديد لجزيرة بليكان، لا بد ان تكون قد كتبت بعض التحقيقات عنه. لكنه لاحظ ان انديا لم تكن منتبهة تماماً لحديث السناتور، فكان جوابه مختصراً: «سأعود معك إلى هذا الموضوع يا سناتور.» ومشى امام وايتني، آخذاً مرفق انديا بدون تحفظ. «والآن، نستأذنكم جميعاً.»

افلتت انديا مشاعرها المكبوته، ما ان ابتعدا عن مسامعهم.

«كيف تجرؤ على ذلك؟ كيف تتدخل في مناسبة خاصة وتخطفني منها على طريقة الانسان البدائي؟ لو اردت ان تتحدث معي لكان عليك ان تفعل ذلك اثناء ساعات العمل.»

أجاب ناتان بهدوء، مقاوماً دون جهد محاولاتها للافلات منه ومستمتعاً بغيظها نتيجة لذلك: «حاولت، لكنك لم تكوني في مكتبك اليوم، ولم تستطع ـ أو لم ترد سكرتيرتك ان تفيدني عن مكان وجودك.»

حبست انديا انفاسها ثم قالت: «كنت مشغولة ولم أكن أعلم ان عليّ ان اقدم تقريراً عن تحركاتي. كنت قرب الفندق، لو كان يهمك ان تراني... عملت المطلوب مني ولن اصل إلى حد السماح بمراقبتي في العاشرة والنصف ليلاً، في شأن لا يخصك!»

«عفوك، لكن اذا كنت تريدين الاستمرار في قبض راتب من الفندق، الا يفترض بي ان ادفعه؟»

عكست عينا انديا شعورها بصدمة قويّة لم يكن يرغب ابداً ان يسببها. قالت بحزم وهي تراقب كلماتها: «اذا لم

تعجبك طريقة ادائي لعملي، يمكنك ان تصرفني في أي وقت. لا شيء يجب مناقشته، لا يحتمل التأجيل إلى صباح الغد. أنت تعلم ذلك. لا أعرف لماذا تتصرف معي بهذا الشكل، ماذا فعلت لاستحق هذه المعاملة؟»

«لا شيء. كنت أريد أن أتحدث اليك.» وسمح لها بالافلات من قبضته عندما وصلا إلى الشاطىء. راقبها وهي تنزع زوج حذائها بكعبيهما العاليين لتمشي بحرية على الرمل الرطب.

«تتحدث؟ عن أي شيء؟»

أقلقه سؤالها، فلام نفسه مجدداً لاسترساله بعيداً في تصوراته غير الواقعية عنها. ترى، هل كانت آديل على حق بشأن ابنتها؟ هل هذه انديا التي عرفها في الماضي واحتفظ بصورتها في مخيلته طيلة غيابه القسري؟ لا يهمّ ما قالته أمها، فمهما حاولت ان تزرع في عقله شكوكاً بشعة، لا شيء يقنعه بأنه فكر في انديا أكثر من كونها اخته الصغيرة لو انه لم يرحل ابداً، ربما كان يراها الآن كأخت. لكنه ذهب بعيداً، وتغيرت أمور كثيرة. لم تعد تثق به وتتبعه كظله. ولسبب ما لم يفهمه، لا يريد ان يصدّق ذلك.

«منذ متى تعرفين وايتني؟»

ليس هذا ما كان ينوي ان يسألها. كان يحاول جاهداً السيطرة على انفعالاته والتفكير بوضوح. لكن السؤال أفلت منه بصورة عفوية. كان من الواضح ان هذا السؤال ـ الهاجس يشغل عقله الباطني أكثر من حسابات الربح والخسارة التي اطلع عليها هذا الصباح ـ على أية حال، لا سبيل للعودة عنه الآن.

«هل دفع راتبي يخوّلك ان تسأل أسئلة شخصية أيضاً؟»

كان عليه ان يقرّر أنها سجلت نقطة لمصلحتها. ليس له ان يسأل عن مدى معرفتها لستيف وايتني، ولها كل الحق ان ترفض الاجابة عن سؤاله.

لكنه استدرك بسرعة قائلاً: «رويدك يا انديا. كوني لطيفة مع اخيك، فانت في عهدتي، اعني الآن بعد وفاة والدي. أظن أنني مسؤول عنك.»

ردّت بعنف: «كنت أفضل أن أكون في عهدة أفعى على أن أكون في عهدتك. وللتذكير فقط، إذا كنت تدير أمي باصبعك الصغيرة، لا تتصور انك تستطيع التلاعب بي بنفس السهولة.»

حسناً، لقد اتضحت الأمور نوعاً ما، فكّر متجهماً، وحاول ألا يظهر غضبه لملاحظتها المؤلمة. لو انها سمعت حديثه مع أمها هذا المساء، لكان شعورها نحوه مختلفاً على الأرجح.

«ان لآديل اسبابها الخاصة لتحاول اصلاح الجسور بيني وبينها. يبدو أنك نسيت انها الشخص الوحيد الذي يعرف ما حدث بالضبط في ذلك الصباح المشؤوم. هي تعرف أيضاً أن في امكاني أن افضح اسرارها واجرّدها من كل شيء.»

«تعني انك تهددها بفضيحة اذا لم تقبل بالأمر الواقع.» وأدرك ناتان فجأة، كم كانت متلهفة لتصديق هذه الحقيقة الصعبة. وللحظة قصيرة، لمح فيها انديا الحقيقية. تلك الفتاة الصغيرة الخائفة والمشوشة ساعة تركها ومضى في سبيله. لقد شاءت ان تصدق ادّعاءات أمها آنذاك. لكن

حضوره كان يربكها، ليس بقدر ما كانت هي تربكه قبل ان تسبب آديل في انسلاخها عنه. منذ ذلك الوقت وصورة عينيها الدامعتين لا تفارق خياله.

وضع يديه على كتفيها بصورة لا شعورية متحسساً نعومة بشرتها. وقال معاتباً برقة: «أي نوع من الوحوش تظنينني؟»

وبدأ يفقد السيطرة على نفسه. شدّ بيديه على كتفيها وبدأ يجذبها نحوه فاقتربت بتردد. عرف انه ليس لديها فكرة عن قصده. ربّما فكرت أنه يحاول إرضاءها بعد الازعاج الذي سببه لها قبل قليل. نظر في عينيها، وبرغم الظلال القائمة المحيطة بهما، استطاع ان يميز بريق الدموع. فعرف بما تبقى من صفاء ذهنه أنها تريد أن تصدقه.

لم يعد ثمة حاجة لاسترجاع ذكريات الماضي. لم تعد انديا طفلة؛ انها امرأة مكتملة الأنوثة. انزلقت يداه من كتفيها نحو ظهرها.

أحس بنعومة ودفء جسدها من خلال سترتها الرقيقة.

لم يبق عليه سوى ان يضمها بين ذراعية ويشدها إلى صدره.

«ناتان!» قالت بلهجة تراوحت بين الاحتجاج والتساؤل. فقد شعرت ان حركاته بعدت عن كونها نوعاً من الترضية أو طريقة اعتذار. رفعت يديها نحوه في حركة وقائية مترددة، ووضعتهما على صدره، فتضاعفت خفقات قلبه. أحسّ بحرارة تلك اليدين المتوترتين من خلال قميصه.

أوقف مقاومتها بدون جهد يذكر. أمال رأسه نحوها وقبّل وجنتيها.

ارتعشت انديا فأحس بوهج انفاسها المتقطعة يلفح وجهه.

أحس بقطرات عرقها وبوهج حرارتها.

«دعني أذهب، يا ناتان.»

لفظت هذه الكلمات بصعوبة واضحة. لكنه لم يلق بالاً لما قالت. كان الارتجاف تعبيرها الوحيد عن المقاومة... وكان من السهل عليه ان يقنع نفسه بانها لم تعن ما قالته. إلى جانب ذلك فان عطر ودفء جسدها المرتعش بين يديه ازال ما بقي لديه من تردّد. طوّقها كليّاً بيديه وضمها نحوه.

طوقت يداها عنقه وتعلقت بأهداب شعره الطويل كما لو ان حياتها اصبحت متعلقة به.

بعد ما التقطت انفاسها وابعدت عن وجهها خصلات شعرها التي بعثرها. قالت له: «دعني أذهب، يا ناتان.»

تردد ناتان قائلاً: «لكن... لا... حسناً.»

ولم يكن لناتان خيار سوى القبول، بعدما اعتذر منها وتراجع إلى الخلف آخذاً وعداً منها بأنها سوف تلتقيه في غرفتها. وكل ما يرجوه الآن ألا تظهر أية مفاجأة غير سارة قبل وصوله إلى هناك.

الفصل السادس

كان جو الغرفة خانقاً حين استيقظت انديا. كانت نوافذها مغلقة والستائر مسدلة، تذكرت انها كانت قد اطفأت التبريد المركزي قبل ان تستلقي في سريرها. لذلك كله اصبح جو الغرفة ثقيلاً من قلة التهوئة واحست بصداع خفيف.

رفعت الغطاء المبلل بالعرق وجلست في سريرها تقلب شعرها المبعثر بيدين متعبتين. نظرت متثائبة إلى ساعتها واكتشفت انها الثامنة والنصف، مما زاد في توترها.

لقد استغرقت في نومها، ولا عجب. خطت نحو النافذة وازاحت الستائر فتسربت خيوط النور من فتحات المصراعين وزاد وهجه من احساسها بالصداع. فتحت النوافذ فدخل نسيم الصباح إلى غرفتها.

تمطت قليلاً وتنفست عميقاً فشعرت بارتياح سريع. كان من السهل ازالة توترها وتعبها الجسدي، لكن توتر قلبها... كان متزايداً.

تمتمت مضطربة، ماذا فكر ناتان الليلة الماضية عندما تركته؟ تسارع نبضها لفكرة لقائه ثانية ومواجهته. لكن الخطأ خطأه هو، اذا أساء فهمها واعتقد انها ستسمح له باغوائها وجعلها تتعلق به.

هزت رأسها متأملة. كانت أمها على حق. لقد كان فاقداً وعيه كلياً. منعها بفظاظة من التنزه مع ستيف

www.rewity.com

وأفسد سهرتها وفوق ذلك عاملها دون تحفظ واحترام.

كان عليها أن تراقبه بحذر أكثر وأن تكون مستعدة لمواجهة الموقف وصده عن محاولته معها. لكن ناتان هو ناتان! يصعب تغييره. كان يعرف ماذا يريد. على أية حال كانت هذه نظرته اليها قبل سفره، وما زال هدفه اغواءها.

شعرت للحظة بفظاعة هذه الكلمة وأحست برجفة تسري في جسمها. لكن لم تكن مرتاحة لهذه الكلمة، فناتان لم يحاول اغواءها، ربما استفاد من ضعف موقفها، فاستخدم نفوذه كشبه اخ لها ووصي ليجعلها تنقاد لرغباته. وعندما افلتت رغبته الجامحة من عقالها، نسي أنه بمثابة اخيها.

ارتعشت مجدداً لخاطرة لم تستطع ابعادها. المشكلة أنها لم تبذل جهداً كبيراً لتثنيه عن عزمه. لقد احتجت بكلمات قليلة غير مقنعة. كان يصعب عليها تمالك اعصابها كي لا تستمر في لعبته حتى النهاية.

كانت نكرى أمها، هي التي بردت اعصابها واعادتها بسرعة إلى صوابها.

كانت انديا في الرابعة عشرة عندما حصل الحادث المشؤوم، لكنها لا تزال تذكر ذلك الصباح كما لو كان صباح أمس. استيقظت آنذاك على صراخ أمها ونهضت من سريرها وهي بقميص النوم.

وهرولت في ممر الطابق العلوي في البيت القديم. لم تعرف ماذا حدث في تلك اللحظة. أجفلت لكنها لم تكن خائفة وتصورت بسذاجة أن آديل ربما وجدت عنكبوتاً في الحمام، أو حشرة تخاف منها. ولم تكن تلك المرة الأولى التي تخرج فيها من الحمام وهي تزعق.

لكن سرعان ما تبين لها أن الأمر لم يكن كذلك. ما ان فتحت بابها، حتى مر والدها من أمامها وهو يشتم، وأمها وراءه تبكي بعصبية. أسرعت خلفهما مذهولة.

كان باب حجرة ناتان مفتوحاً قبل أن يصلوا إليه. تبعت أمها وآرون إلى داخل الغرفة وهي مضطربة. كل ما خطر في بالها في تلك اللحظات القلقة، انه قد يكون حصل مكروه لناتان. كان أول رد فعل لها شعور بالارتياح، إذ وجدت اخاها حياً وفي حالة جيدة كما بدا. كان ما يزال جالساً في سريره بحالة من الاضطراب.

في ذلك الصباح، كان آرون يصرخ متهما ابنه بمحاولة اغواء آديل، (خالته) عرفت انديا إذ ذاك سبب صياح أمها، وشعرت باشمئزاز لم تعرف له تفسيراً. حاول ناتان إغواء آديل، فصارعته وهربت من الغرفة وهي تصرخ. تذكرت انديا صمت ناتان المطبق. كان متكوراً هناك، متجهم الوجه لا يرف له جفن، بينما كان أبوه يغرقه بالتوبيخ والشتائم. لم ينبس ببنت شفة ولم يقم بأية محاولة لانكار التهمة، بينما آديل تنتحب.

بعد ذلك، لم تعد تذكر الكثير من التفاصيل. لكنها تذكر جيدا، أنها وقفت عند باب اخيها قبل أن تخرج واستدارت نحوه، فنظر اليها ناتان نظرة ما زالت محفورة في ذاكرتها. كانت على وجهه تعابير ألم لم تر مثلها من قبل. فكرت الآن بمرارة، أنه ربما كان تحت تأثير صدمة قوية، ولعله لم يخطر في باله قط أن آديل قد تفضحه.

بعد فترة انتظار عاد ناتان يروي قصة الحادث لأبيه لكن آرون أدانه. افترضت انديا أنه كان في حاجة لبعض الوقت

ليأتيه بتفسير مقنع. لكن أن يتهم أمها بأنها حاولت اغواءه؟ أجفلت انديا اذ فكرت باحتمال كهذا ومشت متجهمة داخل الحمام. هل يعتقد حقاً أن أحداً يمكن أن يصدق تهمة كهذه؟ خصوصاً هي، هل هذا معقول؟ آديل هي أمها!

تناولت قرصين من المهدىء قبل مغادرة غرفتها. لم يكن لديها شك في أن هذا النهار سيكون واحداً من اصعب أيام حياتها. تمنت أن يصل السيد هاستنغز باكراً فوجوده فقط يمكن أن يخلصها من سخط ناتان.

كانت أمها في غرفة الجلوس المطلة على باحة الدار. وكانت هذه عبارة عن فسحة حافلة بالنباتات والأزهار الغنية الألوان، يتردد في جنباتها خرير المياه المتدفقة في بركة تتوسطها. كانت آديل جالسة إلى الطاولة مستغرقة في تفكيرها، فعرفت انديا أنها لا تتوقع حضورها الآن.

«صباح الخير يا أمي.»

فوجئت آديل عند سماعها التحية وقالت: «أرأيت ماذا فعلت بي. لقد اصبحت متوترة للغاية. ماذا تعملين هنا في هذا الوقت؟ ألا يفترض بك أن تكوني في مكتبك للاشراف على تحضير الطعام، أو غير ذلك من أعمال؟»

تنهدت انديا وقالت: «هذا ليس من واجباتي، أنت تعرفين ذلك.» ترددت قليلاً ثم جلست مقابل آديل وأردفت: «ثم، إذا أردت أن تنتحري عن طريق تدخين السجائر فهذا شأنك. كان زوجك، لا أنا، هو الذي يحذرك من الافراط في التدخين، أتذكرين؟»

«وأنت كنت توافقينه الرأي. لكن لم تخبريني بعد، ماذا تفعلين هنا؟»

نظرت إلى أمها باستياء وقالت: «أنا أسكن في هذا البيت، وقد نمت الليلة هنا. هل هذا أمر مهم؟»

«بالطبع انه مهم. أتريدين ان تجعلي ناتان يفكر في الاستغناء عن خدماتك؟»

اختارت انديا كلماتها بحذر: «إنه الآن يفكر في ذلك. ألم تلاحظي أننا لا نناسب بعضنا تماماً.»

«هل... هو قال ذلك؟»

«نوعاً ما. لا أحب أن أظهر كحمقاء أمام اصدقائي.»

سألت آديل: «كيف فعل ذلك؟»

أجابت انديا وهي تحاول أن تبدو طبيعية: «بعد أن تركت المطعم الليلة الماضية، أتى إلى طاولة السناتور ماركهام.»

«نعم... وبعد ذلك، ماذا قال؟»

«لم يكن ما قاله كثيراً... لكن ما فعله!» وبدأ وجهها ينضح عرقاً. وأملت أن تعزو امها سبب ذلك لرطوبة الغرفة، فلا تلاحظ الاضطراب على وجهها. عبست آديل وقالت: «هل أزعج ماركهام؟ هل عمل ما يؤذي...؟»

قاطعت انديا اسئلة أمها بانكار جازم: «لا شيء من ذلك. وفي الواقع بدا أن ناتان والسناتور متفاهمان جيداً.» وقطبت جبينها فجأة متذكرة شيئاً قاله السناتور. فقد تحدث عن أرض في اريزونا إذا لم تخنها الذاكرة. وأسر لناتان أن هذه الأرض قد تهمه لمشروع ما. لكن ما عسى أن يعني هذا؟ هل قرر ناتان انشاء منتجع آخر مثل منتج جزيرة بليكان، لكن في الصحراء؟ إذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني بالتأكيد أنه عرف بوصية أبيه قبل وفاته.

www.rewity.com

استرسلت انديا لا شعوريا في هواجسها وتأملاتها وانتبهت إلى صوت أمها تقول بنفاد صبر: «انديا!»

استجمعت افكارها لتتذكر ما كانت تقوله قبل قليل.

سألت آديل: «لماذا؟» فنظرت اليها انديا بارتباك.

«لماذا قلت ان ناتان وماركهام بديا كأنهما متفاهمان؟ هل تظنين أنهما يعرفان بعضهما البعض؟»

«تعنين قبل اجتماعهما مساء امس؟»

أجابت آديل بعصبية: «طبعاً... كلا، لا أظن ذلك. كانت مجرد... عبارة قالها السناتور.»

تفرست فيها آديل: «ماذا؟ هل تحاولين إثارتي يا انديا؟ ويحك هيا تكلمي.»

«حسناً، لم يكن شيئاً مهماً في الحقيقة. ذكر السناتور شيئاً عن أرض يملكها في اريزونا ملمحاً إلى أن ناتان قد يهمه شراؤها.»

وضعت آديل صحنها جانباً. وتناولت علبة سجائرها من جديد. «أرض؟» رددت بقلق ملتقطة حزمة عيدان الثقاب وأشعلت سيجارتها بيد مرتجفة «لماذا يجب أن يهتم ناتان بقطعة أرض في اريزونا؟»

هزت انديا رأسها: «لا أعلم. إنها مجرد فكرة طرحها السناتور. وعلق ناتان على ذلك بإمكانية العودة إلى هذا الموضوع لاحقاً، هذا كل شيء.»

«ما معنى هذا في رأيك؟»

«أنا؟ ليس عندي أية فكرة يا أمي. اني اخبرك فقط بما سمعت.»

«هل هذا ما ضايقك إذاً؟»

«لم يضايقني. هو... ضايقني بإصراره على انه يريد التحدث إليّ، بينما كان واضحاً للجميع أنه متوتر وغير مرتاح.»

قالت آديل: «فهمت. حسناً. أرجو ألا يكون ذلك قد أزعج آل ماركهام، تعلمين يا انديا أن هذا موضوع حساس.»

كظمت انديا غيظها عند وصول جوزي أونيل التي كانت تهتم بخدمة البيت منذ انشائه. كانت امرأة قوية البنية، في الاربعينات. وبرغم أن عملها كطاهية ومدبرة منزل، لم يكن شاقاً لكنها كانت تقوم به بجدية.

فوجئت جوزي بوجود انديا وأمها في وقت ابكر من المعتاد، فتوجهت لانديا بالقول: «حسناً، لا تقولي لي انك اكلت الآن.»

قالت انديا: «لم آكل، لكن لا تهتمي للأمر لست جائعة.»

قالت وهي ترفع صحون فطور آديل وتمسح الفتات بالمنديل: «لا يمكنك أن تشتغلي ومعدتك خاوية، سأقلي لك بيضاً مع كعكتين. سأحضر حالاً قهوة ساخنة.»

أوقفتها انديا قبل ان تخرج. «هذا لطف منك يا جوزي لكن...»

«أي لطف... انه واجبي وكما قلت للسيد كاتريك، لو لم أكن اهتم بغذائك لكنت اصبحت نحيفة جداً. فمنذ وفاة ابيك لم تأكلي جيداً.»

حبست انديا نفسها والقت نظرة قلقة على أمها خوفاً من أن تكون قد لاحظت أو اشتبهت بشيء في كلام الخادمة. سألت جوزي بشيء من الارتياب: «تكلمت عني مع السيد كاتريك، تعنين السيد آرون؟»

«طبعاً لا.» هزت جوزي رأسها وهي ترفع كومة الأطباق.

www.rewity.com

«إني أتكلم عن ناتان، لقد تحدثنا مطولاً الليلة الماضية.»

سألت انديا مذعورة: «الليلة الماضية؟» لكن قبل أن تقول أي شيء آخر قد يفضحها، تدخلت آديل بقولها: «سمعتك تتكلمين عن قهوة ساخنة يا جوزي؟ حضري ما يكفي لشخصين. فقهوتي بردت.»

«حاضر، أنا ذاهبة.» بدا أن جوزي اكتفت بهذا التلميح عن ناتان، لكنها قبل ان تخرج لم تستطع تفويت تعليقاً أخيراً: «لا أفهم لماذا لا يقيم هنا، بعد أن رأيت كيف أمضيتما السهرة معاً مساء البارحة.» انطلقت المرأة السوداء ملقية عليهما نظرة فضول واستغراب. وبقي صدى كلامها يتردد بعد أن اغلقت الباب وراءها. كان تلميحها غامضاً نوعا ما بحيث لم تشعر انديا انه موجه اليها. لكن هذا لم يمنعها من الشعور بالذنب ومن القاء نظرة سريعة نحو أمها.

قالت وهي تلاحظ بحيرة ردّ فعل أمها: «هذه المرأة أصبحت لا تحتمل!»

«نعم. لا أرى أن شؤوننا الخاصة تعنيها في شيء.»

قالت انديا بسذاجة: «اتصور ان كلامها مجرد ثرثرة.» كانت تريد جس نبض أمها لتتأكد مما إذا كانت قد عرفت شيئاً عن مغامرتها مع ناتان ليلة أمس. ترددت قليلاً ثم قررت أنها لن تخسر شيئاً بكلامها فقالت: «أتساءل ما كان ناتان يفعل هنا الليلة الماضية؟»

تنهدت آديل وقالت: «حسناً، من الأفضل أن تعرفي مني وليس من شخص آخر. لقد أتى ليراني.»

انفعلت انديا وتمتمت بصوت مختنق: «ماذا؟» كانت

افكارها مشوشة حقاً. ما سمعته من أمها غير معقول.

«أنا اعلم، يصعب عليك تصديق ذلك. لكن يجب أن أقول انني لم أدعه للمجيء. لكن... حسناً، جاء ليعتذر.»

تأملت انديا أمها وقالت: «تعنين أنه أتى إلى غرفتك؟»

ظهرت آديل كأنها مرتبكة نوعاً ما وقالت: «نعم، يبدو أنه كان في الحديقة ولاحظ أن نافذتي مفتوحة. يجب أن أقول لك انني صدمت كثيراً عندما دخل من النافذة. لم أكن أعلم حتى أنه يعرف غرفتي.»

شعرت انديا بما يشبه الانهيار. لم يكن يخطر في بالها أن أمها يمكن أن تترك نافذتها مفتوحة على غير عادتها، فمعظم من في الفندق يستعملون المكيف لتبريد غرفهم، ويغلقون النوافذ.

«إذاً، ماذا حدث؟» سألتها وهي تحاول أن تبدو مصدومة مثل أمها، وقد كانت كذلك بالفعل لكن لأسباب غير التي قدمتها أمها.

بدا أن آديل تحاول كسب ثقة انديا بطريقة تصويرها لرد فعلها على الحادث. «حسناً، أظن أنه ما زال يميل إليّ. لا. لاتظني اني مجنونة. مع ذلك فأنا أميل لمسامحته.»

«أمي!»

«إنني أعني ما أقول. على كل حال، لقد دفع ثمن خطئه، أليس كذلك؟ ثماني سنوات أمضاها متشرداً يحاول تأمين معيشته. بينما كان في امكانه أن يعيش هنا حياة عزّ ورفاهية. كل ذلك، لأنه كان أحمق لدرجة أنه أغرم بي.»

هزت انديا رأسها وقالت: «أنت لا تعنين ذلك حقاً.»

استرخت آديل في كرسيها وقالت: «بل أعنيه يا انديا،

أعني، لنواجه الحقائق. إنه ما زال مصراً على موقفه... وأنا بشر من لحم ودم.»

كظمت انديا غيظها وسألت: «ماذا حصل الليلة الماضية. يا أمي؟ ماذا فعل ليجعلك تظنين أنه ما زال يحبك؟»

«أوه، لم يفعل شيئاً مهماً.» التمعت عينا آديل وهي تتذكر. وأردفت: «لكن يجب الاعتراف بأن دخوله إلى غرفتي بهذه الطريقة كان رومنطيقياً. كان بمثابة اقتحام بحيث لم يدع لي مجالاً للاعتراض.»

اصطنعت ضحكة صغيرة ساخرة: «لحسن الحظ، لا. لم أكن احب أن يراني على غير استعداد وبقع الكريم على وجهي. كنت قد وصلت لتوي. لا بد أنه لحق بي مباشرة.»

أرجعت انديا كرسيها ونهضت قائلة: «يجب أن أذهب.»

حدقت فيها آديل: «لكنك لم تشربي قهوتك.»

«أشرب في ما بعد.» بحثت يائسة عن عذر فقالت: «وعدت فيكي بمساعدتها في مراجعة الفواتير، تذكرت الآن. وساحيدها جانباً قبل أن يصل السيد هاستنغز.»

«حسناً إذا كان الأمر كذلك. أرجو ألا تكوني مستاءة لما جرى بيني وبين ناتان. هل أزعجك ذلك يا عزيزتي؟»

«كلا» انكرت بعنف، لكن احمرار وجهها فضح مشاعرها الحقيقية وقالت بمرارة: «أنا... أظن فقط انك مجنونة، هذا كل ما في الأمر لم يمض اسبوعان على وفاة آرون. كيف يمكنك حتى التفكير ببديل؟»

الفصل السابع

ارتمى ناتان على الكرسي العتيق خلف مكتب أبيه وأخذ ينقل أصابعه المتوترة حول ذراع الكرسي. تذكر كيف كان يتسلق هذا الكرسي وهو صغير ويجره نحو المكتب مدعياً أنه مدير الفندق. إلا أن هذا كان بالطبع مؤسسة متواضعة في تلك الأيام، والمكتب الذي كان أمام الكرسي لم يكن مكتباً فخماً كما هو الآن. استنتج أن أباه تشبث برأيه ولم يقبل بتغيير الكرسي. إنه الأثر الوحيد الباقي في المكتب الذي ينكره بوالده، بالاضافة إلى صورة وجهه العبوس المعلقة على الحائط.

أدار الكرسي متفحصاً ألوان الصورة خلفه وهز رأسه. بالتأكيد لم يصنع هذا الرسم باختيار أبيه بل بناء لإلحاح زوجته. فهذا النوع من الصور هو الذي تحب آديل اظهاره.

لم يعرف من منهما كانت مفاجأته أكبر عندما تسلل خطا إلى غرفتها الليلة الماضية. هو أحس أن وجهه تجمد رعبا. أما آديل فقد تمكنت بصعوبة من اخفاء مشاعرها الحقيقية ومن الظهور بمظهر من صعقته المفاجأة.

لكن النافذة كانت مفتوحة تماماً، فدخل إلى الغرفة كالفار الذي يقع في الفخ. كان دمه يغلي بالتأكيد وإلا لما أخذ بسهولة بخدعة انديا. على أية حال، فقد برد بسرعة في الجو المتوتر لغرفة نوم آديل. لا بد أنها قد وصلت حديثاً لحسن الحظ. إذ كانت مرتدية كامل ثيابها ـ لم يعلم ماذا كان سيفعل لو كانت في السرير آنئذ. تباً! اقشعر بدنه

اشمئزازاً. لم يكن في استطاعته تصور ما كان يمكن أن تفعل في هذه الحالة وكيف تستغل هذا الموقف.

لكن لحسن الحظ، لم يتم ما خططت له انديا. والغضب الشديد الذي يشعر به لخيانتها، يمكن احتواءه بصعوبة. ماذا كانت تحاول أن تفعل به؟ هل كان هدفها الايقاع به مرة ثانية، كما فعلت أمها سابقاً؟ أم أن هذه طريقتها لتقول له رأيها به.

ما يدعو للسخرية أن ردة فعله الأولى عندما فوجيء بآديل، كان حالة من الذعر. لقد مر ببعض الأوقات الصعبة في حياته: كثيراً ما كان يستيقظ من نومه مذعوراً، ولطالما امضى ليالي من الأرق والتوتر كان يخاف فيها ان يغمض عينيه لئلا تعود إليه صورة وجه أبيه متهما مؤنبا. كل تلك الكوابيس البشعة كانت في حقيقتها اعادة لاواعية لانطباعات وانفعالات ذلك الصباح المشؤوم، عندما فتح عينيه ووجد زوجة أبيه مستلقية في سريره.

والغريب في الأمر أن المشاعر والانفعالات نفسها عاودته الليلة الماضية، كما لو أن اسوأ مخاوفه تحققت وكأنه رجع في الزمن إلى سن الثانية والعشرين. تذكر كيف كان يحملق في وجه آديل. وبرغم أنه أبعد يديها اللتين حاولتا إثارته بشتى الطرق، ودفعها خارج سريره، فقد اتهم آنذاك، ووجد مذنبا!

لحسن الحظ فإن ذلك الشعور لم يدم طويلاً. وهو لم يعد ذلك الولد الساذج. لم يعد يعتقد أنه بمجرد قوله الحقيقة يفترض بالناس أن يصدقوه. لقد اصبح رجلاً يملك افكار ومشاعر الرجال وارادة فولاذية صقلتها

حرارة ادغال اميركا الوسطى مدة ثماني سنوات. وبدل الذعر الذي شل حركته في الماضي، فإنه الآن ببساطة تهيأ للمواجهة.

أبعد عنه هذه الأفكار وتناول البيانات المطبوعة الموضوعة امامه على المكتب. كان قد استخلص الأرقام التي تضمنتها في وقت مبكر من هذا الصباح، بعد أن فتح المكتب وجميع من في الفندق نيام. استعصى عليه النوم بعدما فعلته انديا به الليلة الماضية. وبدا له ان الوقت مناسب كأي وقت آخر لتقويم وضع الفندق حسابياً.

تنهد وهو يمرر أصابعه المتعبة خلال شعره الكثيف الأسود. على الرغم من نجاح الفندق وشهرته فإن وضعه المالي كان تعيساً بالتأكيد. بدا واضحاً من الأرقام أنه غير بعيد عن مرحلة الخطر ومهدد بالافلاس. كان من السهل الاستنتاج أن أحداً ما، بطريقة ما، كان يمتص من الأرباح. كما أن مصاريف الفندق الثابتة كانت تشكل عبئاً كبيراً على ميزانيته. وفي رأيه، فإن تكاليف تشغيل الفندق كانت باهظة بالنسبة للعدد المحدود من الزبائن الذين يمكن استقبالهم. وهذا يتطلب اعادة نظر في الوضع برمته.

هناك حاجة لتأمين أموال تستثمر في تجديد وتوسيع الفندق لزيادة استيعابه وتحسين خدماته. لا بد من اضافة ثلاثين غرفة على الأقل في المدى القصير مع زيادة مناسبة في عدد الموظفين للمحافظة على مستواه وليستحق تصنيفه في فئة الخمسة نجوم.

بعد الذي عرفه عن انديا استنتج أنها قاومت بشدة مثل هذه الاقتراحات لتطوير الفندق، لعلمها أنه لن يكون ملكاً

حصرياً لها ولآديل. لكن كان على الفندق أن يشق طريقة بشكل أو بآخر.

ألم يفطن أبوه لهذا الأمر؟ أم لعله أدرك ذلك. لكن، بدون الأموال اللازمة للتوسيع المطلوب لم يستطع أن يفعل شيئاً فدفن رأسه في الرمال وترك حل المشكلة للزمن. لكن، لعل المحاسبين كانوا قد اطلعوه على الوضع مؤخراً. على كل حال فإن فندق كاتريك الآن في وضع لا يحسد عليه، مما يقتضي منه اعادة نظر شاملة في الإرث الذي انتقل إليه. ألهذا السبب ترك العجوز الفندق له وليس لانديا وأمها؟ ربما رأى أنه أصبح عبئاً ثقيلاً عليه ولم يرد أن يحملهما إياه. هذا يبدو معقولاً، فكر بمرارة، فآرون لا يسامح بسهولة ولا ينسى.

فتح باب القاعة فجأة، فعبس ناتان لرؤية المرأة الأنيقة التي دخلت وجلست إلى مكتبها وهي تنظر إليه بعصبية. كانت سكرتيرة انديا، وهي شابة لطيفة لكن في هذه اللحظة بالذات، بدا وجهها محمراً وهي تقلب بقلق ظاهر.

قالت مرتبكة: «عفواً يا سيد كاتريك. لم أكن اعلم أن احداً موجود هنا. جئت للتأكد من أن كل شيء جاهز في انتظار وصول السيد هاستنغز.»

انفرجت اسارير ناتان، لكنه لم يقف لها. «هل السيد هاستنغز يستعمل عادة هذا المكتب؟»

«كلا، انديا ـ اعني الآنسة كاتريك ـ هي الشخص الوحيد. غير ابيك الذي كان يستخدم المكتب بانتظام. لكن عندما أتى السيد هاستنغز لقراءة الوصية...»

«قرأها هنا.» أكمل ناتان عنها بنعومة. وتابع قوله:

«حسناً فهمت. إذاً هل تريدينني أن انتقل من هنا؟»

قالت، وقد زاد ارتباكها: «كلا بالطبع، هل أحضر لك قهوة أو أي شيء آخر؟ السيد هاستنغز لن يأتي إلى هنا قبل ساعة من الآن، على الأقل.»

عقد ناتان حاجبيه متذكراً أنه لم يأكل شيئاً منذ عشاء البارحة، حيث منعته صحبة آديل من الأكل بشهية فضلاً عن وجود انديا على الطاولة المقابلة له.

سأل برقة محدقاً في وجهها القلق: «هل في امكانك أن تحضري لي كعكة وفنجان قهوة؟ أكون ممتناً لك يا ليندا... هذا إذا سمح وقتك بالطبع.»

بدا على وجهها الانفراج وأجابت بابتسامة: «لا مشكلة. عفواً، بالمناسبة هل عليّ أن أخبر انديا بوجودك؟ أظن انها كانت تبحث عنك قبل مدة.»

«تبحث عني؟» فوجيء ناتان بعد الذي جرى ليلة امس كان يعتقد أنه آخر من ترغب انديا في رؤيته. لكن عجباً، من يستطيع أن يفهم ما يدور في رأس حواء؟

وافق بسخرية: «بالطبع. ربما من الأفضل أن تحضري قهوة لشخصين.»

كان واقفاً أمام النافذة ينظر إلى التلة البعيدة، عندما شعر انه لم يعد وحيداً في المكتب.

انها هي. فكر بحنق، مبعداً يده التي ألقاها على النافذة المفتوحة، واستدار لمواجهتها. لم يستطع أن يفهم لماذا كانت تنظر إليه باشمئزاز، بينما هو الذي له كل الحق بازدرائها.

قالت بصوت خافت وهي تغلق الباب وراءها وتتقدم نحوه. «أية لعبة تظن انك تلعبها؟»

تقوس حاجبا ناتان وقال: «عفواً؟»

«كفى؟ كفاك ادعاء بأنك لا تعرف عما اتكلم. ماذا قلت لأمي الليلة الماضية؟ ماذا فعلت لتجعلها تفكر بتغيير رأيها فيك؟»

حدّق ناتان قائلاً: «أفهم من هذا أنك تحدثت مع أمك هذا الصباح.»

أجابت بغضب: «طبعاً. تحدثت معها، ترى ألم يكف انك حاولت اغوائي؟ هل كان عليك أن تثبتَ رجولتك بأن تفعل ما حاولت فعله قبل سنوات؟»

«والآن، لحظة من فضلك... ما بالك تتكلمين وكأن الحق معك؟»

استغرب ناتان ردة فعله الأولية نحوها. كان يظن أنه سيخنقها ما ان تصبح في متناول يده. هذا ما شعر به بالتأكيد الليلة الماضية بعد أن مشى نحو غرفة نوم آديل وأدرك ما فعلت به انديا. لقد شعر ساعتئذٍ أنه قادر على ارتكاب جريمة قتل. لكن منظر وجهها الشاحب وعينيها القلقتين هذا الصباح، جرّده من أي سلاح. لقد لان موقفه منها بحيث اصبح مستعداً ليعذرها.

«هل تنكر انك ذهبت إلى غرفة أمي؟»

«كلا...» وهز رأسه.

«خلتك ستفعل.»

مع أنه أدرك أن عليه أن يركز انتباهه للدفاع عن موقفه لم يكن في امكانه إلا أن يتأملها وهي ترتدي سترة من الحرير الأبيض. كانت تلبس هذا الصباح ذات الملابس التي استقبلته بها في المطار. وظهرت انفعالاتها في حركاتها المضطربة وهي تسأله:

«ماذا تظن انك حققت بسلوكك هذا؟» شعر أنه ابتعد عن حافة كارثة شخصية كان يمكن أن تقع وحاول أن يفكر بشكل منطقي ليفهم أبعاد سؤالها.

واقترب نحو المكتب قائلاً: «يمكنني أن أسألك بدوري ماذا كنت تأملين أن تحققي؟ وهل كانت امك على علم بتوسيعك الدعوة لتشملها هي أيضاً؟»

«لم أكن اعلم...»

«بل كنت تعلمين تماماً.» اجاب فوراً وهو يحدق في وجهها: «وإذا لم تكوني قاصدة ذلك، فانت تعلمين ماذا نسمي فتيات مثلك يتصرفن على هذا النحو.»

«لم يكن الأمر كما تتصور.»

«كان كذلك بالضبط.»

«لقد خدعتني.»

نظر إليها ناتان بازدراء: «أنا خدعتك؟ كفاكِ تمثيلاً وكذباً. أنا اعلم ما كان شعورك الحقيقي عندما كنت أحاول لثمك ليلة أمس.»

«لا...»

«أجل. إذا كان أحدنا يحق له الشكوى، فهو أنا.»

قالت آسفة: «ما كان يجب أن يحدث هذا.»

«أخيراً، اتفقنا على شيء.»

اجابت بارتياب: «ماذا تقصد بقولك؟»

«ماذا تظنين أنني أقصد؟ لا تهمني أمك يا انديا ولم أكن يوما مهتماً بها كما تتصورين. لكن انت وأبي تسرعتما كثيراً في ظنكما بي أو كنتما خائفين من مواجهة الحقيقة.»

نظرت إليه مستغربة: «كيف يمكنك أن تقول شيئاً كهذا؟»

أجاب محتداً: «لِمَ لا أقوله؟»

«بعد الذي حصل بينك وبينها الليلة الماضية...»

«ما الذي حصل؟ لقد أمضيت نصف ساعة على الشاطىء كالأبله بعد أن ضحكت عليّ وانصرفت. ثم تبعت توجيهاتك وسرت بغباء نحو غرفة أمك. ماذا تظنين أنه حدث عند ذلك؟»

«كلا!»

«أستغرب ألا تكون قد اخبرتك اشياء كهذه.»

«كيف تجرؤ ان تقول مثل هذا الكلام عن أمي؟»

«لِمَ لا؟ صدقيني يا انديا، لم تفعل معي هذه المرأة شيئاً يمكن أن تشكر عليه.»

«لماذ إذن لم تعد ادراجك وتخرج من غرفتها في الحال لو كنت حقاً تكرهها إلى هذا الحد؟ ولماذا كان عليك أن تعتذر منها؟ الم تفعل ذلك؟»

تصلب حنكه غيظاً لسؤالها. فالمضحك المبكي أنه اضطر للاعتذار لآديل، لكن لغير الأسباب التي ذكرتها لابنتها. لقد كان حذراً ولبقاً مع آديل لعلمه بأن لا امان معها. وكان واعياً أيضاً أن علاقته مع انديا ما زالت بريئة، لذلك كان يخشى أن تلعب آديل بعقل ابنتها من جديد وتبعدها عن الاقتناع ببراءته.

قال وهو يصر باسنانه: «صحيح، لقد اعتذرت...»

«أنت... تعتذر!»

«اعتذرت لطريقة تصرفي معها في المطعم مساء أمس. أخبريني ماذا كان يفترض بي أن أفعل غير ذلك؟ أن أقول لها انني أخطأت الغرفة وانني كنت قاصداً غرفتك؟»

«كلا...»

«ماذا كنت تتوقعين أن يحدث إذاً بعد ذلك؟»

بلعت انديا ريقها وقالت بتلعثم: «لم أتوقع شيئاً كهذا أنا... إذا كان لا بد أن تعرف كان قصدي... التهرب منك لكن... ليس بارسالك إلى غرفة أمي. لم يخطر في بالي أبداً شيء كهذا.»

استدار حول الطاولة واقترب منها متحولاً من الدفاع إلى الهجوم قائلاً: «هيا أكملي حديثك.»

«ليس لديّ ما أقوله. أنا... كانت نوافذ أمي مغلقة عندما دخلت إلى غرفتي. لم اتصور أبداً...»

«انها يمكن ان تفتحها.» أكمل عنها بلهجة جافة، واردف: «لم تكن إذاً مؤامرة مدبرة لافتعال فضيحة والايقاع بي متلبسا بالجرم المشهود؟ لم تتوقعي أن تخرج أمك من غرفتها وهي تصرخ وتتهمني بمحاولة اغتصابها؟»

حبست انديا أنفاسها ثم ردت بعنف: «طبعاً، لا.»

«ولم تعرفي شيئاً عما جرى حتى هذا الصباح؟»

«كلا، لم أعرف.»

اقترب منها اكثر وتفرس في وجهها. ظن أنها قد تتراجع. لكنها صممت على أن تظهر له أنها غير خائفة فلم تتراجع. شعر أن عليه أن يصدقها. على الأقل في ما يتعلق بأحداث ليلة أمس. فتغير لونها واشراقة وجهها وذلك المزيج من البراءة والدهشة والتحدي في عينيها أقنعته بصدقها. كانت منفعلة بحيث لا يمكن أن تظهر على غير حقيقتها. ثم ان تشبثها بالدفاع عن أمها يجعل من الصعب الافتراض أن تكون آديل قد ادخلتها في لعبة سخيفة كهذه. كانت طيبتها لاتقاوم. ومع علمه ان الظرف لم يكن مناسباً لعناقها، لكنه

لم يستطع ان يمتنع عن ذلك. رفع يده ملامساً بأنامله وجهها. وببطء متعمد بدأ يداعب عنقها. اجفلت متراجعة فتناولها من خصرها الأهيف وشدها نحوه.

فجأة، فتح الباب دون انذار ودخلت سكرتيرة اندیا بصورة عفوية. «قهوة لشخصين وكعك لشخص واحد.» قالت ذلك وهي ترتب الفنجانين على الصينية التي تحملها، خوفاً من وقوع شيء منها. واستدركت بسرعة: «آوه! عفواً. أنا آسفة جداً!» كانت مرتبكة لدرجة تثير الضحك. في غير هذا الظرف كان يمكن لأنديا أن تهون عليها الأمر بالمزاح. على أية حال، فقد كانت ليندا ميللر سكرتيرتها منذ أربع سنوات بعد أن تركت اندیا المدرسة لتعمل مع ابيها. كانت بالنسبة إليها صديقة اكثر منها موظفة، فهي تعرف الكثير عن حياتها. وكانتا حتى الفترة الأخيرة تتبادلان بثقة اسرارهما الشخصية.

لكن منذ قراءة وصية والدها وعلمها أن ناتان قد يعود إلى الجزيرة اصبحت اندیا أكثر تحفظاً. فذلك الفصل من حياتها، لم تطلع عليه سكرتيرتها أو أي شخص آخر. وانها كانت متأكدة من أن ليندا لا بد أن تكون قد عرفت تلك القصة القديمة وسمعت بعض الشائعات التي انتشرت بعد قراءة وصية آرون، لكنها لم تذكر لها شيئاً عن هذا الموضوع وقدّرت اندیا لها ذلك.

لحسن الحظ، كان رد فعل ناتان على الموقف اسرع من ان تلاحظ ليندا. فما ان احس بحركة الباب، حتى انتقل بخفة إلى الجانب الآخر من مكتب ابيه كأن شيئاً لم يكن. ربما فعل ذلك ليوقف اندفاعه مستبقاً دخول السكرتيرة، وفكرت أنديا بمزيج من الاشمئزاز والغيرة انه ربما كان معتاداً على

التعامل مع مواقف كهذه وليست أول مرة يفاجأ فيها في مثل هذا الوضع. لكن، كيف سمحت أن يصل الأمر بها إلى هذا الحد؟

بعد ليلة أمس كان عليها أن تكون أشد احتراساً. لكن جاذبيته لا تقاوم. لقد عرف كيف يثير حواسها. هل هذا ما فعله بأمها؟ وهل ما زال يحاول ذلك، كما قالت آديل؟

وصلت إلى هذه النقطة في تفكيرها، فعادت الشكوك تساورها. بالطبع إن ما قالته آديل صحيح. هل بدأت تشك بأمها؟ هل هذا ممكن؟ لا، لا يمكن أن تغير أفكارها بهذه البساطة.

قال ناتان بنبرة هادئة: «ضعي الصينية على المكتب يا ليندا، ولا تزعجي نفسك بشيء آخر.» وكانت الابتسامة المطمئنة التي وجهها إليها كفيلة بإذابة الجليد وإعادة الأجواء إلى طبيعتها وتابع كلامه: «هل تسمحين بأن تعلمينا عند وصول السيد هاستنغز؟»

«بالتأكيد...»

ظهر الارتياح على وجه ليندا. وضعت القهوة على المكتب وانطلقت نحو الباب. لكنها التفتت نحو اندیا كأنها شعرت بأن عليها أن تقول شيئاً... وتكلفت اندیا ابتسامة لطيفة وقالت: «شكراً، سأكلمك في ما بعد.»

هزت ليندا حاجبيها بحركة تفيد بأنها فهمت الرسالة، وانصرفت. وعرفت اندیا أن هناك ما يثير قلقها اكثر من فضول سكرتيرتها. كان ناتان واقفاً خلف المكتب يراقبها. حاولت أن تتمالك نفسها فتقدمت لتناول الكرسي الذي كان أمامه. وفي الحقيقة شعرت انها في حاجة للارتماء على الكرسي لإخفاء اضطرابها. وبرغم

أن ناتان لم يجارها في الجلوس بسرعة، فقد شعرت بأنه قدر اسباب جلوسها.

قال ناتان: «حسناً، لِمَ لا نتكلم في الموضوع؟»

قالت: «أي موضوع؟»

«لن نتحدث عن هذه القهوة اللعينة بالطبع. لنتحدث عن أمك يا انديا، وعن حقيقة ما حدث قبل ثماني سنوات.»

«أنا اعرف حقيقة ما حدث.»

«كلا، لا تعرفين.»

«لا أريد التحدث في ذلك.»

«حسناً. أنا أريد ذلك. اللعنة، يا انديا حتى المحكوم بالاعدام، يحق له استئناف الحكم!»

قالت ببساطة وهي تشيح بنظرها عنه وتقرب صينية القهوة: «أنا... أنا اقترح أن نشرب القهوة ونحاول ان نتصرف كأناس متمدنين. السيد هاستنغز و... وأمي سيكونان هنا بعد قليل. ربما علينا أن نتحدث عن الفندق.»

قال بنبرة حادة: «فليذهب الفندق إلى الجحيم! دخلت إلى هنا لاتهامي بتهم باطلة، وتريدين الآن أن نجلس ونشرب القهوة كأن شيئاً لم يحدث!»

جمدت انديا يديها المرتجفتين وسكبت فنجاني قهوة ثم قالت: «أرجوك... ألم نتكلم بما فيه الكفاية حول هذا الموضوع؟ لقد شرحت ما حصل الليلة الماضية.»

«شرحت واستمعت إليك. ألا استحق أن أعامل بالمثل؟»

«ليس هناك شيء نتحدث عنه.»

أرجع ناتان كرسيه ووقف يتمشى بعصبية في الغرفة

قائلاً: «لا شيء حقاً؟ ألا يمكن في رأيك أن يكون أبي قد ساورته الشكوك حول صحة التهمة التي وجهت إليّ؟ وإلا لماذا ترك لي هذا المكان؟»

«أنا لا أعرف... ربما فكر بأن هذا المكان في حاجة لساعدي رجل.» شعرت ببرودة في أناملها المرتخية برغم حرارة الجو. فتناولت الفنجان بكلتا يديها وأردفت: «ناتان، اجلس. ارجوك!»

لم يجب ناتان، لكنها أحست بأنه دار ليقف وراء كرسيها مباشرة. لم تستطع أن تراه لكنها شعرت بحرارته وبتلك الشحنة العدائية المنبعثة منه والتي غمرتها كموجة غير منظورة.

بعد ثوان طويلة من الصمت المشحون بمشاعر متناقضة وبينما كانت انديا تقاوم بشراسة رغبتها في النهوض والاستدارة لمواجهته، سمعت كلمات هادئة واضحة: «هل انت مستعدة لأن تحبيني كما أنا؟»

أحبه؟

أحست بجفاف في حلقها وتذكرت اعترافها لا شعورياً بأنها «تحبه» بينما كانا عائدين من المطار بعد ظهر ذلك اليوم. كيف يمكنها ان تحبه؟ انها لا تعرفه حتى كما يجب.

«أنا... لا أظن أنك تتوقع جواباً عن هذا السؤال.»

«لماذا يجب ألا أتوقع جواباً؟»

«ناتان. إنه سؤال ساذج!»

«أوافقك الرأي.»

تناولت منديلاً لتمسح شفتيها فأحست بلمسة يده على رقبتها. هذه اللمسة البسيطة كانت كافية لإثارة اعصابها فانتفضت بشراسة كما لو أنه هاجمها.

«كفى!» صرخت وهي جزعة لسماع صوتها المضطرب: «أوقف هذه الحركات، إذا سمحت. عندما... عندما قلت إنني احبك، كنت أعني... أحبك كأخ، الأخ الذي تعودت عليه سابقاً. فكرت بك بهذا الشكل. أنت تعرف ذلك. لكن... منذ عودتك...»

«بدأت أعاملك كامرأة...»

ردت وهي ترتجف: «دمرت كل شيء» كتفت يديها ومضت قائلة: «أنت.. أنت تظن انك تستطيع معاملتي كفتاة ساذجة، أنا لم أعد تلك الفتاة الصغيرة.»

أجاب ملطفاً لهجته: «هذا بالضبط ما قلته لتوي!»

تجاهلت تعليقه واكملت: «لقد تغيرت منذ رحيلك. كونت حياتي الخاصة، اصدقائي وطريقة تفكيري. ليس في امكانك بمجرد عودتك أن تتصرف كأن شيئاً لم يتغير، وكأن في امكانك استئناف علاقتنا الماضية من حيث توقفت عندما غادرت.»

«هل قلت إنني اريد ذلك؟»

«هل تريد أن تسمعني؟»

«كلّي آذان صاغية.»

«هل تعني ما تقول حقاً؟» تنهدت وغيرت لهجتها: «ناتان، مهما تقول أو تفكر الآن، من الصعب أن تغير أسلوب حياتك. أنا لا أنكر أنك رجل له شخصيته وجاذبيته...»

«شكراً.»

«وربما تعرف نساء في حياتك أكثر مما اتصور.»

«لا تثقي بكل ما يقال.»

اكملت متجاهلة قوله: «... هذا لن يغير رأيي فيك. ألا

ترى أنك بسلوكك معي على هذا النحو تثبت فقط ما يظن كل الناس انه صحيح!»

عاد العبوس إلى وجه ناتان.

«لا يهمني رأي الناس.» وقبل أن يكمل كلامه، سمعت طرقة خفيفة على الباب قال ناتان: «تفضل.»

عادت ليندا وهي تطل برأسها بحذر من جانب الباب، لتعلن أن مستر هاستنغز في غرفة الاستقبال.

«هل أطلب منه الانتظار؟» اقترحت ذلك، وهي تنقل نظرها بحذر بين ناتان واندیا. «يمكن أن احضر له فنجان قهوة، إذا كنتما في حاجة لبعض الوقت.»

«ليس هذا ضرورياً.» أجاب ناتان بنعومة وهو يأخذ مكانه خلف المكتب ويربت بأصابعه على الأوراق امامه: «أدخليه يا ليندا واطلبي من السيدة كاتريك أن تنضم إلينا.»

www.rewity.com

الفصل الثامن

بعد أقل من ساعة، كانت انديا واقفة إلى جانب النافذة، تتأمل الرجل الذي اعتادت أن تعتبره أخاً لها. لم تكن وحدها في وضع الترقب وتفحّص الأمور، فأمها وارنولد هاستنغز، كانا أيضاً معنيين. وحده ناتان بدا لا مبالياً بالنتيجة التي طلع بها قبل قليل عن الوضع المالي المقلق للفندق.

ربما كان يتظاهر باللامبالاة، فكرت انديا، فهو يعلم بالتأكيد أن المبلغ الضخم الذي قال انهم يحتاجونه لدعم الفندق، لا يمكن تأمينه في الوقت المناسب.

كان هاستنغز أول من تكلم تعقيباً على موقف ناتان، بقوله: «لا شك يا سيد كاتريك في أن آرون، أباك، كان عنده محاسبون أو مستشارون ماليون. أنا متأكد من أنه لو كان هناك أزمة مالية مطروحة، لكانوا أحاطوه علماً بذلك. لا أصدق أن رجلاً حاذقاً كأبيك، الذي عرفته جيداً، كان يمكن أن يسمح بوصول الفندق إلى حالة افلاس.»

ردّدت آديل مذعورة: «إفلاس! ألا يمكنك أن تكون جدّياً، يا آرنولد؟»

«حسناً، إذا كان ما يقوله ابن زوجك صحيحاً...»

قالت دون أن توزن كلماتها: «ماذا يعرف عن الموضوع؟ إنه هنا منذ يومين. هل علينا أن نعتقد أن الفندق مهدد بالافلاس، لمجرد أنه استخدم أحدهم فطلع علينا بمجموعة أرقام أشك في أنه هو نفسه يفهمها! إنه لأمر

مضحك! الأماكن عندنا محجوزة دائماً حتى آخر السنة، ونحن نرفض بعض الزوار. أخبريه يا انديا؛ أليس هذا صحيحاً؟ لم يكن الفندق يوماً بمثل هذه الحركة النشطة.»

التفتت انديا إلى المحامي متجنبة نظرات ناتان الساخرة وقالت موافقة: «هذا صحيح يا سيد هاستنغز. يمكنني اطلاعك على سجل اليوميات إذا شئت.»

«هذا لا يثبت شيئاً.» قال ناتان بإيجاز، قبل أن يتمكن هاستنغز من الإجابة. وأضاف: «أنا لا أنكر أن الفندق يجتذب الزوار، يا انديا، وأن الخدمة التي تقدمونها ممتازة. ما أقوله ـ دون أن أنجح في اقناعكما كما يبدو ـ هو أنه لا يمكننا الاستمرار في المحافظة على مستوى الخدمة هذا، إلا إذا توسعنا.»

قالت آديل متهكمة: «تعني ان نكثر المناشير الدعائية التي تحمل اسمنا؟ ان لدينا زبائن مميزين يقصدوننا ليعيشوا في جوّ خاص. فإذا امتلأ المكان بالسيّاح، فقدنا ميزتنا.»

قال ناتان: «ليس بالضرورة.»

اعترفت انديا: «ليس في امكاننا أن نتوسع على أية حال. ليس لدينا التجهيزات الضرورية.»

أدار ناتان كرسيه ناحية انديا متوجهاً إليها بالقول: «يمكننا أن نؤمن ذلك. وكما سبق وقلت، ان اضافة جناح جديد تفي بالغرض على المدى القصير. ثلاثون غرفة جديدة ويصبح الفندق قادراً على الاستمرار. خمسون، يصبح استثماراً مضموناً.»

نظرت انديا جانباً، غير قادرة على فهم مرامي ادعاءاته وبالتالي نواياه الحقيقية. انه يعلم الآن أن ليس لديهم

فرصة لانقاذ الفندق. أتكون اقتراحاته التعجيزية هذه أسلوباً في افهامهما بأنه سيطرح الفندق للبيع؟

خلص ناتان إلى القول: «لا بدّ أن يكون هناك خيار.»

كان هاستنغز ينظر باهتمام إلى ناتان وهو يتكلم. وتساءلت انديا لماذا كان مستعداً للأخذ بتقييم اخيها للوضع قبل تقييمها هي. بالطبع، لقد عرف أن ناتان أصبح صاحب القرار منذ الآن مهما كانت الاعتبارات الأخرى، وأنه لم يعد لهما ـ هي وأمها ـ سوى الموافقة.

قال ناتان بلهجة جافة: «هناك حلّ آخر ـ إذا أمكن اعتباره حلاً ـ وهو رفع التعرفة. لكن بصراحة، لا أرى أن هذا الأمر ممكن. فلا أحد من الزبائن مستعد لأن يفتح كفّه بسخاء ليدفع ثمن أخطائنا نحن. وحسب خبرتي، حتى الأصدقاء النافذون والقادرون على المساعدة لا يفعلون ذلك بتبذير أموالهم.»

قالت آديل بسخرية: «بالطبع، لقد عرفت الكثير من هذا النوع من الناس.» ثم توجهت نحو الرجل الآخر: «ارنولد، لِمَ لا تتصل بالمحاسبين في لندن؟ إذا كان هناك مشكلة ـ وأنا غير مقتنعة بذلك ـ فإني متأكدة من أن بإمكانهم تصفيتها.»

«يا عزيزتي... أنا أخشى أن هذا لن يفيد في شيء.»

«لِمَ لا؟»

«حسناً، الأرقام بين يديّ.»

«الأرقام! لا تقل لي انك مقتنع بكلام رجل لا يعرف شيئاً عن عمل الفنادق.»

«لا يعرف شيئاً؟» ردّد هاستنغز كلماتها بارتباك ظاهر، وتساءلت انديا عما يمكن أن يكون ناتان قد أخبره.

لم يتوقف ناتان عند كلام آديل، وقبل أن يبدي هاستنغز رأيه في الموضوع، قال: «أعرف ما يكفي. لقد عملت في فنادق وأستطيع أن أفهم بيان الميزانية. صدّقي أو لا تصدقي يا آديل، ليس هذا هو المهم.»

بدت آديل غاضبة. لكن تعابير وجه هاستنغز، هي التي لفتت اهتمام انديا. لقد بدا مشدوهاً، متوتراً عند كل كلمة تقولها أمها. كان يحاول اخفاء انفعالاته، لماذا؟ ماذا قال ناتان ليثير لديه ردّة الفعل هذه؟ ولماذا كان ينظر إلى أخيها كأنه يرجوه اعفاءه من هذه المهمة؟

«ارنولد!» عادت آديل تحاول، رافضة الاستسلام. «لا بدّ أن هناك شيئاً يمكن فعله.»

أجاب ناتان عن المحامي: «هناك حلّ واحد لا غير، وهو بناء جناح جديد.»

سألت انديا: «بأيّة أموال؟ أهذه طريقتك لتقول لنا انه سيكون عليك أن تبيع الفندق للحصول على المال!»

«كلا.»

قال هاستنغز: «هل أفهم من حديثك يا سيد كاتريك أنك تنوي تمويل التوسيع المقترح بنفسك؟»

همهمت آديل: «إنه ينوي بيعه بالتقسيط، على الأرجح. كما لو أنه في حاجة لعذر لبيعه.»

تجاهل ناتان تهجّم آديل وأعلن ببساطة: «الواقع أنّ هناك قسطين يتوجب دفعهما عن الفندق الآن.»

قالت انديا بغصة: «ديون على الفندق؟»

أجاب ناتان: «نعم. وأظن أن أبي عرف بالضبط إلى أين تسير الأمور.»

قالت آديل متصنعة الدهشة: «الأمر أسوأ بكثير مما تصورت!»

تابع ناتان: «هذا إذا تجاهلنا مدفوعات التأمين...»

قالت انديا: «الأمر أسوأ مما يتصوره أي واحد منا، يا أمي. ماذا علينا أن نفعل؟» ثم استدركت مصححة بقولها لناتان: «ماذا تنوي أن تفعل؟»

«لقد قلت لك. بناء جناح جديد. وفقاً للتقديرات الحالية فإن مليوني دولار تفيان بالغرض.»

«مليونا دولار! كيف تقترح ايجاد مبلغ كهذا؟»

«حسناً، دعيني أفكر في الأمر...»

هز ناتان أصابعه وعقد حاجبيه كأنه يفكر في حلّ ما. لكن انديا عرفت أن تردده مقصود. فكرت مشككة في انه ربما يلعب بأعصابهما فقط بإطالة عنصر الاثارة في هذه المسرحية. لكن شعوراً خفياً في داخلها كان يقول لها ان هذا الرجل يعرف تماماً كيف يؤمن المبلغ. قبل أن يبدأ ناتان بعرض فكرته، تدخلت آديل مجدداً وقالت: «أنا أعلم.» وحدقت بناتان وبوجهه المضطرب وتابعت: «إنه مال مخدرات، أليس كذلك؟ قلت انك أمضيت مدة في أميركا الوسطى... لعلك تسعى للحصول على المال من احدى المافيات... من عصابة تريد استخدام الجزيرة كجسر إلى الولايات المتحدة.»

كان الصمت الذي تلا هذه التهمة مزعجاً. لا أحد ـ حتى انديا ـ كان في امكانه الآن أن يصدق أن آديل تعني حقاً ما تقول. وبدت أولى علامات التوتر على ناتان، فقد كانت ردّة فعله المرحة هذه المرة أصعب من السابق ومبطنة بالتهكم. قال مازحاً: «فكرة رائعة لم تخطر في بالي فعلاً.» وغمز

هاستنغز الذي ابتسم بدوره ابتسامة ذات مغزى: «لكنني أتساءل فقط كيف يمكنني الاتصال بهذه العصابة يا آديل. أأضع اعلاناً في الجرائد في رأيك أم أطير إلى بوغوتا وأسرّب الخبر مباشرة لمن يهمه الأمر؟»

بدت آديل ناقمة، بينما انفرجت أسارير انديا بعد أن أخذ ناتان الأمر بروح الدعابة. مع ذلك تبقى مشكلة تأمين المال التي لا تحلّها نكات ناتان الساخرة. فالعبء كبير حقاً.

«هل تفكر ببيع أسهم من الفندق؟» سألته انديا بوجل في محاولة لصرف الانتباه عن أمها.

«لا أظن أن في امكانك ايجاد العديد من المشترين.» لاحظ ناتان، بينما كان الرجل الأكبر سناً يقلب محفظته متململاً. «أليس كذلك يا سيد هاستنغز؟ المساهمون عادة يريدون أن يروا مردوداً أكيداً لتوظيفاتهم.»

«نعم، بالتأكيد.»

سألت آديل: «ماذا ستفعل إذاً؟ انديا على حق؛ إذا لم يكن هناك مال لتطوير الفندق، سيترتب عليك أن تبيعه... ربما.»

«لم أقل ان ليس هناك مال لذلك.» صحّح ناتان بهدوء، ملتفتاً إلى المحامي. «هل هذا صحيح يا أرنولد؟ لم أقل قط ان الوضع ميئوس منه.»

سألت آديل متأففة: «لِمَ لا تخبرنا إذاً بما ستفعل؟» وانقبضت انديا إذ التفت ناتان نحو أمها ثانية.

«اني مستعد لتوظيف قسم من مالي الخاص إذا كانت الشروط ملائمة.»

«أنت!» قالت انديا وأمها معاً، لكن انديا قالتها بحركة شفتيها دون أن يسمع لها صوت.

«نعم أنا.» أكد ناتان وهو ينظر إليهما بارتياح. «في هذه الحالة يمكننا الاتفاق على الأسس التي اقترحتها. وتكون انديا مهيأة لتسلم الإدارة.»

ترجلت انديا عن دراجتها وخرجت بها عن الطريق، نحو الكثبان والصخور المحاذية للشاطىء. انحدرت صوب كهف أبالون المهجور حيث يسود السكون في فترة بعد الظهر الشديدة الحرارة. كان المكان مقفراً إلا من مجموعات السرطان الرملي التي كانت تهرب أمامها. حتى الطيور، كانت غائبة، فهي تعود مساء عند انحسار المدّ، مخلفاً لها ما تأكله على الشاطىء.

لكن الآن، الساحة لها وحدها. خلعت حذاءها وخبّأت دراجتها في أجمة من الاعشاب الكثيفة حيث تأكدت من تجاربها السابقة من أنّ أحداً لا يشك في وجودها هناك.

في الواقع، شكّت في أن يكون العديد من رواد الجزيرة يعرفون حتى بوجود الكهف، فقد كان محجوباً عن الأنظار، بعيداً عن خليج أباكو وهو القسم المأهول من الجزيرة. بينما الطرف الشمالي منها، حيث الكهف، كان شبه مهجور. ولو لم يدلها عليه ناتان قديماً، لما فطنت أبداً إلى وجوده.

لم تكن تحبّ التجوال بمفردها بعيداً عن محيط الفندق. لكن ناتان كان قد رافقها مراراً إلى هنا. وفي أيام الطفولة تلك، كانت واثقة من نفسها كفاية لتأتي بمفردها. على أية حال، فإن خصوصية المكان في نظرها أعطتها شعوراً بالاطمئنان. فضلاً عن عدم احتمال وجود مهووسين في الجزيرة قد يخطر في بالهم الاعتداء عليها.

وجدت موقعاً مناسباً للتمركز، فألقت حقيبتها أرضاً. كان فيها علبتا عصير في كيس عازل لحفظ برودتهما، بالإضافة إلى منشفتها ومشطها.

بقيت دقائق تتأمل المشهد أمامها. لا شيء يضاهي جمال هذه المنطقة، فكرت، وهي تنظر إلى المياه الصافية المائلة للاخضرار، تنقلب مزبدة على الشاطىء. لا شيء سوى الشمس والبحر وهدير الموج.

نزعت سروالها القصير الذي كانت تلبسه وألقت نظرة حولها قبل نزع قميصها القطني. كانت تلك مجرد حركة لا شعورية، إذ لم تكن تتوقع أن يراها أحد هناك، فالأمر الوحيد لوجود حياة بشرية حولها، كان زورقاً شراعياً في الأفق، أبعد من أن يزعجها أو يعكر صفو وحدتها.

برغم حرارة الظهيرة، شعرت بقشعريرة وكأنها غير مرتاحة كعادتها. لم يصعب عليها معرفة السبب. إنه هو... ناتان بالطبع. ناتان ومشاريعه المثيرة لمستقبلها. كيف يستطيع أن يموّل المشروع الذي تحدث عنه؟ وكيف يمكنها هي البقاء في الجزيرة إذا لم تستطع حتى الوثوق به؟

حاولت ألا تفكر في الأمر. اجتازت الشاطىء نحو البحر. تقدمت ببطء لتبريد جسمها تدريجياً قبل أن تغمرها الأمواج. أحسّت ببرودة منعشة، بينما كانت حرارة الشمس تلسع رقبتها وكتفيها خارج المياه. كانت أمها دائماً تقول انها مجنونة بسبب خروجها بالدراجة في حرّ الظهيرة.

لكن انديا كانت تعتبر هذه الفترة من النهار ملكاً لها. كان الضيوف يستمتعون بالغداء على الشرفة. ومن السابق لأوانه الآن التفكير بتحضير العشاء. وبعد أن أمضت معظم فترة

الصباح في مكتبها، شعرت بالحاجة إلى ساعة من الوقت تخصصها لنفسها.

على الأقل لم يكن عليها أن تقلق من مواجهة ناتان في الأيام القليلة الماضية. فبعد تلك المقابلة مع ارنولد هاستنغز، غادر الجزيرة إلى العاصمة كما يبدو، للتباحث مع مستشاريه الماليين.

لقد دفعته خطورة الوضع المالي للفندق، للاسراع في تأمين المال. لم يكن في امكانها أن تصدق أن ناتان يملك مثل هذا المبلغ ليتصرف به. لقد تحدث عن مليونين! دولارات أم جنيهات لا فرق فالمبلغ ضخم على أية حال. لم تتعامل أبداً بمبلغ كهذا. وبرغم علمها أن قيمة الفندق تفوق كثيراً هذا الرقم، مع ذلك فقد كان بالنسبة إليها رقماً خيالياً لا تحلم بالوصول إليه.

لكن، كان عليها أن تعترف بأن ناتان بدا كأنه معتاد على التعامل بالأرقام. وعندما تنكرت نظرات السيد هاستنغز إليه وإلى أمها أثناء الاجتماع خمنت أن ناتان يعرف أكثر بكثير مما يقول. ذكّرها هذا بكلام للسناتور ماركهام كان قد قاله لأخيها عن أرض له في اريزونا. هل كان السناتور وهاستنغز يعرفان شيئاً عن ناتان لا تعرفه هي وآديل؟ هل اكتشف السيد هاستنغز شيئاً مهماً عندما كان يبحث عن ناتان؟ لكن، لماذا يخبرهما بذلك على كل حال.

أبعدت انديا هذه الأفكار جانباً، وغطست في عمق الموج.

كانت المياه في العمق أبرد مما تصورت، أو ربما أحسّت كذلك لأنها وقفت في الشمس طويلاً. ما بها؟ فكرت، عندما

أحسّت بتسارع ضربات قلبها وبلهاثها القوي. لمَ عادت للتفكير بناتان ومشاريعه؟ لم يكن في امكانها أن تفعل شيئاً غير الذي فعلته. فلِمَ لا تبعد هذا الموضوع عن فكرها؟

بسبب أمها، اعترفت بعد أن التقطت أنفاسها وعاد إليها صفاء تفكيرها. فمنذ ذلك الصباح، لم يكن لأديل حديث معها سوى موضوع ناتان، حتى كادت تفقدها صبرها، لا يبدو الأمر كأن آديل تكسب شيئاً من بقائها في الجزيرة. لكنها كانت تلح على انديا بقبول عرض ناتان، لتأمين مستقبلهما القريب على الأقل. كانت تشكّ في أن أمها تعتقد حقاً أن ناتان ما زال يميل إليها. فعلى الرغم مما ألمحت لها عن ذلك، فإن تصرفه معها ذلك الصباح لم يكن أبداً تصرف عاشق. ومهما كانت مشاعره نحوها في الماضي يبدو أنها أمحت بمرور الزمن وبقي منها شعوره بالمرارة الذي تضاعف بموت أبيه، فكرت انديا بأسف. ليت كان في امكانه أن يتكلم مع آرون قبل وفاته...

شعرت بتحسّن وهي تسبح عائدة إلى الشاطىء. لقد قال ناتان ان في امكانها أن تأخذ بعض الوقت للتفكير في عرضه. ومن الآن حتى عودته، أمامها متسع من الوقت لمواجهة المشكلة.

خطت نحو الشاطىء وهي تزيل الماء عن شعرها الطويل بيديها. حلّت الرباط الذي كانت عقدته حوله وأسدلته حول كتفيها ليجف في الشمس.

في هذه اللحظة رأت ناتان. كان ممدداً على الرمل إلى جانب حقيبتها، ومنشفتها ملقاة على وسطه. كان متكئاً على مرفقيه؛ إحدى ساقيه ممدودة والأخرى منحنية بشكل

زاوية. كان يلبس ثياباً قطنية خفيفة وعيناه شاردتين.

خفق قلبها بسرعة ولاحظت على الفور أن نصفها الأعلى شبه عارٍ. لحسن الحظ فإن شعرها الطويل شكل ستاراً نجح إلى حدّ ما في اخفاء جسمها.

وقفت على بعد عدة أقدام منه وهي تغرز قدميها في الرمل الساخن.

تمالكت أعصابها قدر المستطاع ومدّت يدها عن بعد نحو المنشفة الملقاة على ساقه. وقالت: «هل تسمح؟»

ألقى ناتان نظرة على المنشفة ثم رفع نظره ثانية ليسألها: «هل تسبحين هكذا عادة؟»

ابتلعت اندياً الجواب الحانق الذي بلغ شفتيها، واكتفت بالقول: «عندما أكون بمفردي. الآن، هل تسمح...»

«وإذا قرّر شخص آخر الانضمام إليك، ماذا تفعلين؟»

«هذا أمر مستبعد. لا أحد يعرف بوجود هذا الكهف سواك.» قالتها بصوت لا يكاد يسمع: «ناتان أرجوك...»

«لأي شيء ترجين؟» انتصب جالساً، ينظر إليها متسائلاً ببراءة اللئيم، انه يعرف تماماً ماذا تريد. لكنه يريدها أن تقول ذلك، أن تتوسل إليه أن يعطيها منشفتها.

«أريد أن أجفف جسمي. إذا لم يكن عندك مانع.»

«وإذا كان عندي مانع؟»

«ناتان، لِمَ تتصرف معي هكذا؟»

هزّ كتفيه، وقال: «ربما أحاول أن أفهمك أنه ليس من الحكمة أن تذهبي للسباحة بمفردك في مكان منعزل كهذا. هل يعلم أحد بوجودك هنا؟»

«تعلم أمي أنني أتنزه على الدراجة.»

«حسن! ومن غيرها؟»

ان ناتان يحاول معاكستها ولن يذهب أبعد من ذلك، فلِمَ تلعب لعبته وتظهر أنها خائفة؟

«أعطني المنشفة. يجب أن أعود إلى البيت.»

قال: «حسناً.» وبوثبة رشيقة نهض واقفاً. لكنه بدل أن يرمي إليها المنشفة، أحضرها بنفسه وهو ينفضها من الرمل.

ومدّت يدها لتتناولها قائلة: «شكراً، لا لزوم لأن تقترب أكثر.» لكن ناتان تجاهل يدها الممدودة وخطا إلى جانبها ولفّ المنشفة حولها من الخلف.

لم يدم ارتياحها طويلاً، فسرعان ما تبين لها أن ناتان لم يرجع بعد ما وضع المنشفة حول جسمها. فقد بقيت ذراعاه تحيطان بها. أخذ نبضها يتسارع عندما بدأت يداه تضغطان المنشفة بنعومة على جسمها.

انسحبت لا شعورياً، لكن ببطء وحواسها شبه مخدرة. عرفت أن عليها أن توقفه قبل أن تفضحها انفعالاتها. لكن حركاتها كانت ثقيلة ولم تعد تدري ماذا تقول.

أخيراً أفلتت منه وحاولت ابعاد يديه عنها. «لا يا ناتان، يجب ألا نفعل هذا.»

سأل بنعومة: «لماذا؟ تريدين أن تجفي من الماء، أليس كذلك؟ ما المشكلة، ألست أقوم بالعمل المطلوب كما يجب؟»

«ناتان، كفى. يجب ألا تفعل ذلك. انه غير لائق.»

«يبدو لي لائقاً تماماً.» أجاب وهو يجفف شعرها بطرف المنشفة. ثم دلّك كتفيها بيديه.

كان جسده القريب منها يغمرها بموجة من حرارته وعبير رجولته.

انزلقت يداه على كتفيها وأحنى رأسه نحوها. أحسّت بشعره الكثيف الناعم يداعب وجنتيها، فحبست أنفاسها، ثم تمتمت: «ناتان...» لكنه لم يكن يستمع إليها. بدا مسافراً في عالم من صنع أحلامه. تحدّى مقاومتها بكلمات همس بها في أذنها: «تعلمين، لم أتوقف عن التفكير بك منذ تلك الليلة التي أرسلتني فيها إلى غرفة أمك.»

«أنا... أنا لم أرسلك إلى غرفة أمي.»

«بدا لي أن الأمر كان كذلك.»

«لا. لم أكن أعلم... أن نافذتها... مفتوحة.»

قال مذكراً برفق: «لكنك غرّرت بي، أليس كذلك؟»

«حصل هذا... رغماً عني. يا ناتان...»

وكان ارتياحها شديداً عندما تسارعت قبلاته وازدادت شوقاً، وأحست كأنها على وشك الذوبان والانصهار به.

إذ ذاك أبعدها عنه برفق، لكن بحزم. وانحنى يلتقط المنشفة وناولها اياها قائلاً: «من الأفضل أن تنهي تجفيف جسمك جيداً يا عزيزتي، لئلا تبردي!»

الفصل التاسع

حسناً، لقد وصفته بـ «اللئيم» وهو الآن كذلك، فكر ناتان مبتسماً، وهو ينزلق خلف مقود سيارة الجيب التي أتى بها نحو الكهف. لقد ردّ عليها بالمثل، اليس كذلك؟ جعلها تشعر بشيء من الاحباط الذي شعر به عندما تهربت منه. فليكن ذلك. لقد استحقت كل ما سببه لها وربما تستحق أكثر.

لم يشعر أن حالته أفضل بكثير بعد ما عاد إلى الفندق. صحيح أنه انتظرها آنذاك مختبئاً بين الصخور، حتى رآها ترتدي ثيابها وتستعد للعودة بدراجتها، فاطمأن وعاد بسيارته. دخل الفندق متوجهاً إلى مكتب أبيه، غير مكترث لمظهره المهمل.

رفع غريغ ساندرز نظره عن صفحات الميزانية التي كان يدرسها وقال لناتان بعد أن دخل المكتب: «ما بك يا رجل؟ هل وجدتها؟»

نظر ناتان إلى شريكه الأسود، وعلى وجهه علامات الأسف، ثم ألقى نفسه على الكرسي المقابل.

«نعم، وجدتها.» أجاب باقتضاب، وتنفس عميقاً. نسي للحظة أنه عاد مصطحباً غريغ معه. كانت نظراته القلقة تعكس صراعه الداخلي الذي كان يحاول احتواءه.

«هل أتركك ترتاح قليلاً؟» عرض غريغ ذلك متفهماً الموقف لكن ناتان هز رأسه بالنفي. وبدا كأنه استعاد السيطرة على انفعالاته. ثم نهض ومشى متثاقلاً نحو

الثلاجة. وقال: «كلا. ما أريده هو شراب بارد، وأنت؟»

«فكرة حسنة.» قال غريغ وهو ينظر إلى شريكه بقلق: «هل حدث شيء... شيء ما تريد أن تتحدث عنه؟»

ناوله ناتان كوب شراب وأخذ بدوره جرعة كبيرة واحس ببعض الانتعاش، نظر إلى غريغ مجدداً بشيء من الارتباك، مقرراً الاسترسال في السخرية من نفسه.

«في امكانك القول انني أفسدت الأمر بنفسي. لكن تباً، كانت فرصة مناسبة.»

عبس غريغ قائلاً: «عمن تتكلم الآن عن زوجة أبيك؟»

«لا، ابداً! انديا، اني اتكلم عن انديا.»

تأمله غريغ بعض الوقت ثم قال: «تجاوبت معك حقاً؟ لو لم تكن قد اخبرتني بغير ذلك، لقلت انك واقع في مشكلة جدية.»

«مع انديا؟»

حاول ناتان ان يبدو غاضباً وقد كان كذلك بالفعل، لكنه في اعماق نفسه، لم يكن مقتنعاً ببراءته.

كان قد اخبر غريغ قصة خلافه مع أبيه بعد أن اصبحا شريكين، وكان متوتر الأعصاب يوم أخبره القصة. هكذا برر صباح اليوم التالي افشاءه للسر، إذ لم يكن من عادته البوح باسراره لأحد. ومع أن غريغ لم يخن ثقته يوماً، إلا أن ناتان تمنى الآن لو أنه لم يبح بسره لأحد.

قال غريغ متعاطفاً: «حسناً، ما الذي يضايقك إلى هذا الحد؟ أحدكما جرح مشاعر الآخر، أليس كذلك؟»

ابتسم ناتان بصعوبة: «يمكنك ان تقول ذلك.» وجرع المزيد من الشراب. حاول التخلص من شعوره الخانق

بالجزع، فغير الموضوع مشيراً بيده إلى الأوراق المكدسة على المكتب: «إذاً ما رأيك في المشروع؟»

نظر غريغ إليه نظرة شك وقال: «هل تريد حقاً الخديث عن ذلك الآن؟»

«لِمَ لا؟»

أجاب غريغ بشيء من الجدية: «حسناً ظننت أنك قد تفضل الاستمتاع بحمام منعش.» وتابع بلكنة جنوبية مضحكة، محاولاً تهوين الأمر على شريكه: «ليس هناك قانون يحكم عليك بالاعدام إذا أغظت امرأة! هل يستحق الأمر منك مثل هذا العناء يارجل؟»

عاد ناتان إلى مرحه الآن. نظر إلى صدره العاري ورأى بقايا الرمل على ساقيه فقال: «أظن انك سجلت عليّ نقطة.» انهى شرابه ونهض بخفة قائلاً: «حسناً أمهلني ربع ساعة. لن أثير شفقتك مرة أخرى، هذا وعد.»

أخذ ناتان دوشاً في الشقة المخصصة له، وأبدل ملابسه الرياضية بثياب انيقة فاخرة. بينما كان ينشف شعره ذكرته المنشفة ببراءة ونعومة انديا، فاعترف بأن علاقته بها نضجت ولم تعد تحتمل التأويل أو المعاكسة وان عليه أن يحسم أمره معها سريعاً. ومع ذلك فإنه لم يعاكسها بقدر ما عاكسته هي. تذكر منظرها وهي خارجة من الماء كعروس البحر، قبل أن تلاحظ ان أحداً يراقبها. كانت رائعة بقامتها الهيفاء وجمالها الطبيعي. كانت تعتصر الماء من شعرها، ذلك الشعر الذهبي الذي يفوق اوصاف الشعراء.

عندما رأته لم تتظاهر بالخجل ولم تبالغ في ردة فعلها الطبيعية لحجب مفاتنها. تركت شعرها يقوم بالمهمة عنها.

لم ينجح هذا الحجاب في اخفاء جسمها تماماً، لكنه ضاعف تأثير سحرها.

لقد سحره جمالها البريء. عليه ان يعترف بذلك دون مكابرة عندما لفها بالمنشفة مجففا جسدها، اختبر أرق انواع العذاب برغم ادعاءاته الكاذبة فإنه ما زال يعاني من هذا العذاب الذي لا يعرف ماذا يسميه. إنه يريدها، لا شك في ذلك. ومهما كان قد قال لغريغ ساندرز، إنه مفتون بها. لم يستطع ان يفكر بشيء آخر منذ عودته من نيويورك. في كل لقاءات العمل التي أجراها كانت صورتها تطغى على تفكيره هازئة من نواياه الانتقامية. لكنه استطاع أن يقاومها. كان عليه ان يفعل ذلك، وإلا لما اقتنعت ابداً ببراءته من التهمة التي أدين بها.

لم ينضم ناتان الى النزلاء للعشاء. تناول شطائر مع غريغ في الميناء، بينما كان يريه المنطقة المجاورة. ثم عاد غريغ بعد ذلك الى الفندق لمراجعة الأرقام التي كان ناتان قد حضرها بواسطة محاسبه في نيويورك. كانت فكرة ناتان أن المجمع السياحي في الجزيرة يجب ان يوضع تحت مظلة شركة سوليفان سباس، مع المحافظة على خصوصيته. يكون قد حافظ على حلم ابيه، وأمن للفندق في نفس الوقت الاستمرار.

لأجل ذلك اصطحب غريغ معه. فقد كان يريد ادخاله في المشروع. لم يكن يفعل شيئاً في ذلك الوقت دون استشارة غريغ، فعلى مر السنين كانا قد اصبحا ثنائياً يحسب له حساب. فخبرة غريغ في الشؤون العملية تكاملت بنجاح مع مواهب ناتان كمتعهد ديناميكي. كان يريد أن يعرف رأي

غريغ في امكانية انجاح مشروع ترتبت عليه ديون ومخاطر مالية جسيمة.

في الواقع، كان انطباع غريغ ايجابياً بالنسبة لامكانات الجزيرة. وقد امضيا معظم فترة بعد الظهر في مناقشة كيفية جعل المنتجع قابلا للاستمرار دون ان يفقد ميزاته وشهرته. يجب ألا تصل الى الصحافة أية شائعات عن الوضع المالي السيىء للفندق. لا شيء يثير شكوك الناس في مؤسسة ما كالأخبار عن تغيير المالك. فمن المهم أن يحافظ فندق كاتريك على مرتبته الحالية من حيث الأسعار. كان ناتان واثقا من أن دعم الفندق يمكن أن يتماشى مع مستوى الأسعار الحالي، وكان يعلم أيضاً أنه عاجلاً ام آجلاً ستعرف انديا وآديل حقيقته، لذلك لم يكن مستعجلاً على اطلاعهما على وضعه المالي، بل على خلاف ذلك، كان يحاذر أن يعطي آديل أية معلومات يمكن أن تستعملها ضده. فقد نجحت حتى الآن في تسميم عقل انديا وتحريضها ضده. وعلى الرغم من أنه لا يرى الآن كيف يمكن أن تؤذيه بعد الذي فعلته سابقاً، فإنه لم يكن يأمن جانبها.

استأذن ناتان من غريغ وقرر أن يأخذ يخت «الواي فارر» في نزهة بحرية. فعلى متن ذلك المركب القديم كان يشعر حقاً بأنه أقرب الى روح أبيه. كان قد خطط لتجديد اليخت والاحتفاظ به لاستعماله الشخصي فقط. كانت فكرة غريبة ربما، فالفندق عندما يمتلىء بالزبائن تستنفر كل الزوارق للعمل، وتوقف اليخت عن الخدمة تترتب عليه خسارة إضافية. لكنه اتخذ هذا القرار دون موافقة غريغ، لعلمه بأن شريكه لن يجد صعوبة لتفهم ذلك.

كانت غرفة القيادة مقفلة كما في المرة الماضية لكن لم يجد صعوبة في فتحها، فقد كان أبوه يحتفظ دائماً بمفتاح يخبئه في مكان ما على متن المركب. التقطه من مخبئه ونزل الدرج نحو الصالون الصغير. كان قد أحضر علبتي عصير من النادي، وضعهما في الثلاجة قبل أن يتأكد من أن كل شيء في اليخت كان كما تركه. كان احدهم يهتم بصيانة هذا المركب القديم، فكر بشيء من الامتعاض متذكرا ستيف، فالدهان كان لماعاً والأدوات المعدنية مصقولة.

سمع وقع خطى على سطح اليخت فقطب جبينه مستغرباً. وعندما لاحظ فردتي حذاء رياضي في قدمين يكسوهما شعر رمادي، تنزلان الدرج، ارتاحت اساريره. فقد ظهر بعد الساقين سروال قصير ابيض وقميص قطنية على صدرها عبارة «كاتريكز مارينا». أخيراً ظهر وجه هوراس وليامز البرونزي.

«اهلا. يا ناتان هذا أنت؟ سمعت بعودتك أخيراً.»

قال ناتان مصافحاً الرجل: «هذا أنا طبعاً. كيف حالك يا هوراس؟ يسرني أن اراك من جديد.»

قال هوراس بشيء من الأسف: «نعم، لم يبق الكثير ممن عرفتهم في ايام ابيك. هناك وجوه جديدة الآن.»

«هذا ما لاحظته.»

«حسناً، أخبرني رالف أنه تحدث معك ذلك النهار، عندما رأيت غرفة القيادة مفتوحة... وكنت منزعجاً لذلك اشد الانزعاج.»

قال ناتان معتذراً: «آسف لذلك. لقد أردت أن أبعد عن جو الفندق قليلاً. المكان هنا يبدو جميلاً.»

همهم هوراس قائلاً: «كان والدك يحب «الواي فارر» القديم. لقد امضى الكثير من وقته هنا قبل وفاته.»

«حقاً؟ ليتني رأيته قبل وفاته يا هوراس، تمنيت ذلك حقاً.»

«حسناً، ربما كنت وجدت في ذلك بعض العزاء. لا أظن أن أحداً عرف حقاً خطورة مرضه. اعتدنا أن نراه هنا. لا أحد خطر في باله أنه مريض عندما بدأ ينام هنا، في هذا اليخت بالذات.»

تأمله ناتان وقال: «أبي نام هنا؟»

أكد هوراس: «معظم الأحيان. تصور أنه لم يرد أن يهتم به أحد. لا بد أنه... حسناً.» تلعثم في الحديث إذ رأى وجه ناتان متجهماً. ثم تابع بارتباك: «حسناً. عاش بعض الليالي المزعجة عندما... اقتربت نهايته.»

تلقى ناتان هذا الخبر بشيء من الارتياب. كان واضحاً أن أباه عاش حالة صراع. كان في امكانه أن يساعده... لو علم بحالته. هذا ما ولّد في حلقه غصة ألم.

سأله هوراس: «أنت... هل أنت باقٍ هنا؟ لا أعني هنا في اليخت... بل في الجزيرة. هل ستدير الفندق بعد أن أوصاك أبوك على كل شيء هنا؟»

تكلف ناتان الابتسام قائلاً: «نوعاً ما. لا عليك، لا أفكر في أي تغيير في وضع الموظفين.»

قال هوراس بامتنان: «كنت مطمئناً لذلك. حسناً سأتركك الآن. إذا احتجت لشيء ما عليك سوى اشعاري بذلك.»

هز ناتان رأسه، وبعد وقفة تردد، عاد هوراس أدراجه وقد بدا عليه الارتياح. كان ناتان متفهما لموقفه، فليس

من السهل ان تخبر انساناً أن أباه وزوجة ابيه كانا متباعدين كلياً، كما كان ناتان يشتبه في حالة أبيه مع آديل. وكان من سوء حظ هوراس أن الخبر اتى على لسانه بشكل عفوي.

بعد أن وجد نفسه وحيداً في اليخت لم يعد متحمساً للقيام بنزهة بحرية على متن «الواي فارر» استلقى على مقعد وأخذ يتأمل المنظر خارج النافذة. بدأ الظلام يخيم على الميناء وغشي السواد وجه السماء فظهرت أولى النجوم في الأفق. كم كان كل ذلك جميلاً، فكر ناتان بشيء من المرارة. كانت الجزيرة كالفردوس، يحلم كثيرون أن يعيشوا فيه. ولكن لكل فردوس أفعى، ولسوء الحظ فإن أباه تزوج هذه الأفعى!

كانت هناك حفلة صاخبة على متن أحد اليخوت الراسية قرب النادي. كان في إمكانه أن يسمع أصوات الحديث والضحك وايقاع موسيقى الكاليبسو. على الأقل، هناك أناس يعرفون كيف يستمتعون بوقتهم، فكر ناتان بأسى. لكن أليس هذا ما أتوا لأجله من اماكن بعيدة؟

اشتدت الظلمة في غرفة القيادة فتكدرت نفسه ونهض فأدار مفتاح المصابيح الكهربائية وتوهجت الغرفة على الفور بأشعة ساطعة.

قرر أن يبدد شعوره بالانقباض فجلس إلى المكتب حيث كان أبوه يحتفظ بالأوراق المتعلقة باليخت.

كان من الصعب اعتبارها أوراقاً خاصة. فالمكتب لم يكن حتى مغلقاً، مع ذلك فقد بقي لدى ناتان نوع من الاحترام لحاجيات أبيه. كان عنده احساس غريزي ان آرون قد يصل

في أية لحظة محدثا جلبة عند نزوله الدرج، ليسأله ماذا يفعل هنا.

لكن بالطبع، لم يأت أحد. وبقي السكون مخيما على اليخت. الاصوات الوحيدة المسموعة، كانت سقسقة الماء المتواصلة على جوانب اليخت، أو قرقعة بعض الآلات فيه، من وقت إلى آخر. وكانت ادراج المكتب مملوءة بأوراق وسجلات قديمة، تضمّن كثير منها تقارير عن حالة الطقس وتواريخ الرحلات، كان يفترض ان تتلف من زمن طويل. كانت هنالك وثائق ملاحية وفواتير مفصلة للتصليحات التي أجريت لليخت، بالاضافة الى اكياس رقائق البطاطا المحمصة ولفائف الواح الشوكولاتة، مما يشير الى أن أباه كان يهمل غالباً تناول وجبات الطعام كما يجب. أطبق شفتيه عندما اخرج سجل اليخت، ومرر اصابعه برفق على صفحاته المصفرّة. ومع أن «الواي فارر» لا يمكن تصنيفه كمركب بعيد المدى، فإن آرون كان يصر دائماً على الاحتفاظ بسجل رسمي لرحلاته، مدوناً على صفحاته تفاصيل كل رحلة لليخت. كانت جميعها مكتوبة بخط يد ابيه المميز. أحس ناتان بغصة في حلقة وتمتم: «مسكين يا أبي. لماذا كنت عنيداً لهذه الدرجة؟» كانت بعض الصفحات ملتصقة ببعضها نتيجة لتسرب مياه البحر، كما تصور أثناء العواصف القوية. فقد كان في امكان العواصف أن تقلب مركباً كبيراً في هذه المياه خاصة في أواخر الخريف. عندما تزمجر رياح الهاريكان التي تهب من البحر الكاريبي. كان ناتان قد اختبر بنفسه بعض هذه الرحلات المخيفة. لكن، كانت لديه ثقة مطلقة بأبيه.

بينما كان يقلب هذه الصفحات سقطت كدسة أخرى من الأوراق على المكتب. عسى ألا تكون هذه أيضاً تقارير عن الطقس، فكر بضجر وهو يفتح احداها. لكن لم تكن كذلك. كانت رسالة، وبدا أنها موجهة... إليه!

ارتعش ناتان. الخط خط أبيه أيضاً. تساءل عن تاريخ كتابتها. لم تكن مؤرخة ولا موقعة. لكن الاسم في أعلى الصفحة هو اسمه. يا للصدفة! فكر وهو يحاول أن يستجمع افكاره، كان يمكن بسهولة الا ينتبه لهذه الورقة وأن تفوته قراءتها! أدارها بلهفة نحو المصباح وركز على كلماتها المخربشة بشيء من الارتياب. كانت ورقة تشبه عشرات الأوراق المتعلقة بالملاحة ولو أن احداً غيره رآها لما كان انتبه لها. لكن، لِمَ يخاف من قراءتها؟ إن أباه مات، ومهما يكن في هذه الرسالة، لن يصدمه الآن.

«عزيزي ناتان. عندما تقرأ هذه الكلمات أرجو أن تكون قد سامحتني. على الأقل تكون روحي مطمئنة لعودتك إلى الجزيرة. والآن يجب أن تعرف مدى اخفاقي وتقصيري...»

بلع ناتان ريقه بصعوبة. ليس هذا ما كان يتوقعه. تردد في متابعة القراءة. كان واضحاً أن أباه كتب هذه الرسالة بعد أن أوصى بممتلكاته له. وأدرك أن النهاية وشيكة.

تنهد ناتان. كان عليه أن يقرأها حتى النهاية. إن لم يكن لسبب آخر، فلإرضاء فضوله. ترى لماذا كان آرون يطلب منه السماح؟ ولأي ذنب؟ تابع القراءة:

«الفندق ليس مهما. يمكن بيعه في أسوأ الحالات. وربما تكفي ايراداته مع الجزيرة لسد ديونه. آديل استوفت حقها. أمنت لها ما يكفي. أسفي الوحيد هو أن انديا ستخسر كل

شيء. لقد تعبت كثيراً لانجاح الفندق. مسكينة انديا ستظن انني تخليت عنها...»

تنفس عميقاً. غير معقول، أحس وكأن أباه قريب منه يتكلم معه. ليت في امكانه هو أن يخبره عن شعوره.

«... لكن، ليس بمقدار ما تخليت عنك يا ولدي. كان عليّ أن أشك في الأمر. لم تكذب عليّ قط من قبل، لكني لم أرد أن استمع اليك. كنت مغفلاً حقاً، عجوزاً احمق لم يكن في استطاعته أن يرى ما يحدث حوله، حتى لو حدث امام ناظريه. آديل لن تتغير أبداً. الآن فهمت انها تقيم علاقة مع أحد غيري. لقد عرفت عدة رجال خلال هذه السنوات، كانت تلتقيهم هنا وفي الولايات المتحدة. هي تظن انني لا أعرف ذلك. أو ربما لا تهتم للأمر. ولماذا تهتم؟ انها تستخف بي وبكل ما أمثل...»

تصبب ناتان عرقاً. كان جبينه يندى ويده المطبقة على الرسالة، حارة جداً.

«... على أية حال، فات الأوان. خطائي وأخطاء آديل ستموت معي. إنني اشعر باقترابي من النهاية المحتومة. لذلك أكتب هذه الرسالة لعلك في يوم من الأيام يا ناتان، تقرأها و...»

إلى هنا، كانت كلمات أبيه كما تصور وتمنى. لكن، ماذا أراد أن يقول بعد آخر كلمة؟ تقرأها و... ماذا؟ تفهم؟ تسامح؟ تبكي؟... لأول مرة منذ أن علم بوفاة أبيه، أحس ناتان بالدموع السخية تكوي عينيه. تمتم وهو يضع الرسالة جانباً ويدفن رأسه بين يديه. «لماذا لا نرى الأمور على حقيقتها إلا بعد فوات الأوان؟»

الفصل العاشر

وقفت انديا قرب نافذتها محدقة في الظلام في الخارج. لم تضيء غرفتها، مع ذلك فقد كانت الحشرات الطائرة تتهافت على زجاج النافذة. عرفت أن النور الباهت المنبعث من مصابيح الشرفة، كان يجتذبها ومع أن انديا كانت معتادة على هذا المشهد الليلي، لكنها وجدته الآن تافهاً ومضجراً مثل كل الأشياء التي حولها.

حاولت أن تنظر إلى الأمور بإيجابية، لكن مشاعرها هذا المساء بشكل خاص، كانت أبعد ما تكون عن الايجابية والتفاؤل. وفي الواقع شعرت بانحطاط مفاجيء. وقد لاحظ ستيف أن شيئاً ما في سلوكها لم يكن على ما يرام.

في الحقيقة، ما كان يجب أن تقبل العشاء مع ستيف هذا المساء. فقد كان مزاجها سيئاً لا يسمح لها بالخروج وأحست بقشعريرة عندما رأت اليخت مضاء في الميناء وعرفت أن احداً ما موجود فيه.

خمّنت من يكون بالطبع. فناتان لم يظهر منذ خروجه مع ذلك الرجل بعد الظهر. ووجود غريغ ساندرز بعد ذلك وحيداً في المطعم، أنبأها بأن ناتان لا بد أن يكون خارج الفندق.

كانت آديل قد اخبرتها بأن غريغ أتى مع ناتان عندما عاد من سفره، وقد فسرت امها وجوده بأنه الرجل الذي قد يقرض ناتان بعض المال. فقد أمضى بعد الظهر معه يستطلع

احوال الفندق. كما شوهد في المكتب يطالع اوراق الميزانية.

شعرت انديا بعد ذلك انها دخلت في دوامة من الأفكار والمشاعر المتناقضة. اعترفت بشيء من الشعور بالذنب انها ربما بالغت في استخدام ناتان كوسيلة للتنفيس عن غضبها المكبوت. فهو لم يكن يستحق غضبها إلى هذا الحد. لكن بعد أن تركها في كهف ابالون لم تعد تشعر برغبة في صحبة أحد.

ابتعدت عن النافذة ومشت في الغرفة باضطراب. ماذا كان يحاول أن يفعل بها؟ تساءلت بألم. ماذا يريد منها حقاً؟ لم يكن في امكانها أن توهم نفسها بأنه مهتم بها جدياً. كانت متأكدة من انه يستخدمها فقط ليغيظ أمها. لكن لماذا؟

لا يمكنها البقاء هنا إذا أرادت جواباً لتساؤلاتها. ربما إذا ابتعدت يمكنها أن تعرف حقيقة موقفه منها ومن أمها. بدا لها أن هذه حقيقة لا مفر منها. لا يمكنها أن تستمر في عملها مع ناتان في ادارة الفندق. لا يهم كم سيكون مؤلماً بالنسبة إليها ترك الفندق أو حتى مجرد التفكير بذلك. فالبقاء هنا سيصبح اشد إيلاما على المدى الطويل.

وقفت في وسط الغرفة وضغطت بيديها على وجنتيها الملتهبتين. نعم، فكرت بتردد انها الوسيلة الوحيدة. لا يمكنها متابعة العمل مع رجل لا يحترمها، لا هي ولا أمها. كان عليها أن تعرف ذلك منذ البداية وأن تخطط للرحيل منذ أن علمت بعودة ناتان إلى الجزيرة.

وفكرت، ماذا يكون موقف أمها؟ لن تستقبل آديل قرارها هذا بالترحاب. لقد قبلت بصعوبة فكرة التعاون مع أخيها

اكراماً لأمها وبناء لإلحاحها. لم يكن هذا هو الدافع الوحيد بالطبع، قالت لنفسها، لكن، على أية حال كان ذلك قبل علمهما بالأزمة المالية التي يواجهها الفندق. أما الآن، فمن يعلم ما قد تسفر عنه هذه الأزمة؟

صحيح أن ناتان قرر معالجة المشكلة بدعم الفندق على أن تستلم هي ادارته. لكن، لا يمكنه بصراحة أن يطلب منها ادارة الفندق الآن، بعد أن اظهر قلة احترامه لها.

أرخت قبضتيها المشدودتين واستدارت عائدة نحو النافذة. في امكانها دائماً أن تحاول التفاهم مع ناتان، قالت لنفسها. لعله ما زال في الميناء. لو أنها تذهب الآن وتراه يمكنها أن تشرح موقفها وأن تقنعه حتى بالسماح لأمها بالبقاء. أي ضير في ذلك؟

عضت على شفتها بعصبية. لا، انها تفكر بسذاجة، وفكرتها هذه غير صائبة وفي غير محلها.

تنهدت محتارة مترددة. الحس السليم كان يملي عليها الانتظار حتى الصباح قبل أن تحاول التحدث معه ثانية. لكن، ربما لن تستطيع رؤيته غداً. وقد لا يكون وحده كما هو الآن، فغريغ ساندرز، كانت تجده امامها، كلما حاولت التحدث مع ناتان. اما هناك في الميناء، فهي متأكدة من أنهما سيكونان على انفراد. فصديق ناتان في الفندق الآن وقد رأته يتحدث مع موظفة الاستقبال، قبل ان تصعد هي الى غرفتها.

ألقت نظرة على ملابسها وتأكدت من أن أزرار سترتها مثبتة بإحكام. ورأت تنورتها الزرقاء بلون الياقوت والوشاح المكمل لها، يناسبان سهرة عشاء مع ستيف لكنهما بالتأكيد لا يناسبان ما كانت ترجو أن يكون لقاء عمل

مع ناتان. بدلت ملابسها وضفرت شعرها في جديلة واحدة القتها على كتفيها.

لحسن الحظ لم تصادف احداً في طريقها الى الميناء. كان الناس ما يزالون يرقصون في الفندق، أو يتنزهون على الشاطىء أو يسهرون في النادي. بعضهم كان يقيم حفلة على متن أحد اليخوت، وكان صوت ايقاع الموسيقى يخفي صوت خطاها وهي تجري على رصيف الميناء الخشبي. اطمأنت بعد أن توارت عن الأنظار واقتربت من أضواء «الواي فارر». ما زال ناتان هنا. كانت ترجو فقط أن تنبه من فيه إلى وجودها. حتى وزنها الخفيف كان يؤرجح اليخت. وقفت في انتظار أن يخرج ناتان لحظة.

لكنه لم يخرج. لو لم تكن أضواء اليخت مشعة لشكت بوجود أحد فيه. ربما غادر اليخت ونسي أن يطفىء النور. فكرت بانزعاج. أو ربما الذي في اليخت ليس ناتان.

حسمت ترددها وقفزت إلى سطح المركب قبل أن تغير رأيها. ونزلت الدرج نحو الداخل. آخر مرة صعدت الى اليخت كانت قبل أكثر من شهرين عندما جاءت لتفقد آرون الذي كان يمضي معظم وقته في الميناء. وبرغم أنها لم تفكر قط في هذا الأمر، فقد تساءلت الآن عما إذا كان اعتكاف آرون هنا، هو الذي سمح لأمها أن تكثر وتطيل اسفارها.

أحنت انديا رأسها قبل أن تصل الى اسفل الدرج، لتستطلع داخل الغرفة. تسارعت انفاسها وأحست بخفقان صدرها، كان ناتان هناك ممدداً على المقعد مغمض العينين. أهو نائم؟ نزلت بحذر الدرجات الأخيرة تساورها الظنون وعيناها مثبتتان عليه. لكنه لم يتحرك.

حبست نفسها إذ رأت شعره الأسود مبعثراً بطريقة لا مبالية، فأشاحت بنظرها جانباً. لا يفترض بها ان تكون هنا. بالتأكيد لا يفترض ان تراه في هذا الوضع. يظلل عينيه بيده، واحدى رجليه ممدودة أرضاً والأخرى منثنية على المقعد وركبتها إلى أعلى. لأول مرة بدا لها ناتان ضعيفاً وعلى وجهه الرقيق مسحة من الحزن.

تنفست بهدوء ومشت على اطراف اصابعها عبر الغرفة. إذا كان نائماً فعليها أن تتخلى عن فكرتها بالتحدث إليه الليلة في الموضوع الذي جاءت من أجله. ربما كان هذا أفضل. فكرت وهي ترنو إليه بنظرها. كان شكله الرياضي يوحي بأنه كان يعمل عملاً يدوياً في السنوات الثماني الماضية، كما اقنعتها آديل وكانت على صواب في أمور كثيرة قالتها عنه.

ماذا تفعل هنا؟ تساءلت وهي تقف بتردد أمامه. كان نائماً فعلا، فلِمَ لا تخرج من هنا، وبسرعة قبل أن يصحو ويظن انها تتجسس عليه؟ اعترفت رغما عنها انها كانت لا شعوريا ترغب في البقاء. كان هناك شيء ما يشدها للبقاء واقفة تراقبه وهو نائم. انها الحقيقة ولو كرهت الاعتراف بها. وفكرت أنها لأول مرة منذ عودته إلى الجزيرة يتاح لها أن تراه على طبيعته دون ان يشعر. هذه فرصة لا يجب تفويتها.

عقدت حاجبيها عندما رأت على وجهه شيئاً لم تلاحظه من قبل، كان هناك بقع على وجنتيه، وكأنه كان يفرك عينيه. اقتربت وتحققت غير مصدقة أنه كان يمسح دموعه. غير معقول، ناتان كان يبكي!

أجالت نظرة حولها فرأت دفتر آرون ذا الغلاف الجلدي، مفتوحاً على المكتب. لا بد أن ناتان كان يقرأ فيه، فكرت بذهول. قرأ مدونات أبيه فتأثر، لكن أكثر مما كانت تظن.

كان حرياً بها ان تخرج بسرعة بعد اكتشافها هذا. فلو صحا ناتان في هذه اللحظة سيكون غضبه مضاعفاً، لأنها اختلست النظر إليه وهو نائم، ولأنها رأت ضعفه وتعاسته. إذ ذاك يستحيل ان يسامحها. ليس من الحكمة في شيء أن تستفزه ببقائها.

مع ذلك بقيت تتصارعها رغبة في الهرب بهدوء من جهة، وأخرى لا تقل عنها قوة، وهي البقاء في مكانها. إنه ناتان حدثها قلبها. ناتان صديقها وبمثابة أخيها. الرجل الذي شغل فكرها. كيف يمكنها أن تتركه؟ انها تحبه.

تملكها الجزع لهذا الشعور الذي تحرك فجأة في داخلها. لا، هذا غير صحيح. انها لا تحب ناتان. لا تريد ولا تستطيع أن تحبه. بعد الذي فعله بأمها وبعد ان سمم جو العائلة بابتعاده الذي كان وحده مسؤولاً عنه. لا، لا يمكن ان تحبه حقاً. انها تبحث عن ذريعة للبقاء ليس إلا. إنها حمقاء وضعيفة. كان لأمها كل الحق في ازدرائها.

فتح ناتان عينيه. وقبل أن تتمكن من الابتعاد انطلقت يده بحركة آلية وأمسكت بمعصمها.

«انديا؟ هل حصل مكروه؟»

ارتبكت انديا للمفاجأة فقالت: «كلا، أنا... كنت على وشك الذهاب. لقد تأخر الوقت.»

«نعم، صحيح. إذاً ماذا تفعلين هنا؟ هل ارسلتك أمك؟»

فوجئت بسؤاله فأجابت: «أمي؟ كلا، أنا... لماذا تظن أن أمي ارسلتني؟»

قال بلهجة جافة: «فعلاً، لماذا أظن ذلك؟» ثم استوى

جالساً دون أن يترك معصمها وفرك وجهه بيده وأردف: «تبدين كقطة جميلة تتسلل خلسة.»

لم يكن تعليقه يستحق أي جواب، لكنها قالت: «حمساً، لست كما يخيل إليك. كنت... أتنزه و... رأيت اليخت مضاء.»

«وانشغل بالك عليّ، أليس كذلك؟»

«لم اكن اعلم انك هنا.»

قال متهكماً: «صحيح؟» حرك بإبهامه عروق معصمها النحيف وأضاف: «طفلتي المسكينة، عليك ان تفعلي ذلك بشكل أفضل في المرة القادمة.»

«لست طفلة وأرجو ألا تخاطبني هكذا. دعني أذهب، ما كان يجب أن آتي إلى هنا، فأنا لم أقصد الإزعاج.»

«قولي لي ماذا يفترض أن تعني زيارتك؟»

أجابت بعصبية: «لا شيء.» وشعرت انها تورطت في الحديث معه ولا سبيل إلى التراجع الآن. ثم قالت: «اسمع. ما دمت بخير ساتركك. يمكننا أن نتحدث غداً صباحاً.»

نظر ناتان إلى يده المتشبثة بمعصمها. كانت أصابعه حادة الاسمرار بالنسبة لشحوب بشرتها. كان يطوق ذراعها بسهولة مثل قيد حديدي.

سأل بعد لحظة: «عن أي شيء؟» لكنها كانت مرتبكة لدرجة انها لم تفهم سؤاله بسرعة. «غداً صباحاً. قلت يمكننا أن نتحدث صباحاً، وسألتك عن أي شيء.»

«صحيح!»

قال: «هيا، حاولي أن تتذكري.»

أجابت وهي تهز كتفيها: «لا استطيع، أعني لست مضطرة. لا شيء عندي لأقوله.»

ليس هذا بالطبع ما جاءت لأجله. لكن، الآن بالذات، لا شيء يمكن أن يكرهها على الافصاح عن دوافع مجيئها. حتى هي نفسها لم تعد متأكدة من هذه الدوافع. فكأن اكتشافها ان ناتان حساس ويمكن أن يبكي مثلها، جردها من أي سلاح.

ثبت نظره في عينيها فتأكدت انه كان يقرأ افكارها. شد على معصمها وجذبها نحوه الى المقعد.

قال برقة: «أخبريني. ماذا تذكرين عن أبيك؟»

هذا آخر ما كانت تتوقع أن يسألها. التقطت أنفاسها وقالت: «أبي؟»

«نعم. أبوك. لا أعني آرون بل أباك الحقيقي.»

ترددت ثم قالت: «لا أذكر الكثير عنه الآن أنت تعلم، كان في الجيش بعيداً عنا. وكنت في الرابعة من عمري عندما توفي.»

«صحيح.» هز ناتان رأسه أسفاً. ثم وضع يدها فوق ركبته ضاغطاً برفق على أناملها.

اجفلت انديا لكنها لم تحاول نزع يدها عنه.

نظر اليها برقة تاركاً أنامله تتحسس يدها وتتسلل بين أصابعها. وأضاف قائلاً: «كنت اتساءل فقط إلى أي حدٍ عرفت أباك والى أي حد نعرف بعضنا حقاً؟»

أحست انديا بجفاف في حلقها حاولت ان تركز على ما كان يقول بارتباك: «أنت... تتحدث عن... أبيك. أليس كذلك؟»

همهم وهو يرمقها بطرف عينه: «كنت أظن أنني اعرفه، لكني لم أكن أعرفه على حقيقته.»

خفضت نظرها نحو يديهما المتشابكتين متجنبة نظراته المقلقة. أجابت: «ربما... كان يتحدث دائماً عنك كما تعلم.»

«حقاً؟ ماذا كان يقول عني؟ ابن مستهتر وجاحد، كما اعتبرني في يوم من الأيام؟»

قالت: «كلا! كان... كان فخوراً بك. وأظن أنه كان يحب أن يتصل بك، لكن... لكن...»

«لم يتصل.»

«لم يستطع! لم يكن يعرف أين كنت. لا أحد منا كان يعرف. إلى أن...»

«إلى أن فات الأوان.»

همست: «نعم. أنا آسفة يا ناتان.»

نظر اليها متفحصاً: «آسفة لأجلي؟»

قالت مكذبة شعورها: «لا. ليس لأجلك. آسفة... لما حصل، لوفاة ابيك بهذا الشكل. كان موته مأساة!»

قال بمرارة: «مأساة كان يمكن تجنبها.»

حاولت انديا تحرير يدها بحركة عفوية وقالت: «إذا كنت ستعود إلى ذلك الموضوع مجدداً...»

لم يجد صعوبة في احتجاز يدها بقبضته ورد بقوله: «أي موضوع؟ أرجوك يا انديا، كفي عن النظر اليّ كما لو كنت عدواً لك. لست كذلك بالطبع. ولا ألوم أحداً حتى أمك. مع انها مسؤولة اكثر من أي شخص آخر عما حدث.»

«ناتان!»

رد بنفس النبرة: «انديا! أظن انك منحازة نوعاً ما، بل منحازة كليا في الواقع. ما معنى اسفك لأجلي حين تدافعين عن امك بشكل اعمى وترفضين ان تثقي بي؟»

«ناتان...»

قال محدقاً بعينيها: «ماذا؟ كنت دائماً تثقين بي. هل تذكرين؟ عندما ذهبنا للغطس عند الحافة الصخرية وأخطأت القفزة فانتشلتك بين ذراعي. كنت تثقين بي آنذاك أكثر من ثقتك بسمعة أمك.»

«آوه يا ناتان...»

«كم أحب طريقتك في نطق اسمي.» رفع يدها إذ ذاك وقربها من شفتيه فلثم انامله الناعمة.

«يجب أن أذهب.»

«لم تخبريني بعد لِمَ أتيت إلى هنا هل اشتقت إليّ؟»

«ماذا؟... أنا... لا!»

كان غيظها واضحاً لا تكلف فيه، فضحك ناتان ضحكة خافتة: «هل أنت متأكدة؟ كنت اكثر تجاوباً بعد الظهر.»

زمت انديا شفتيها اشمئزازا وقالت: «كيف يمكنك أن تمزح بهذا الخصوص وقد كان تصرفك معي...»

«مخيباً؟»

همهمت غاضبة: «لا يغتفر!»

تغيرت لهجته فقال جازماً: «مهلاً، لا تبالغي، لست أمزح. إسألي غريغ كيف كنت. بعد ما تركتك، لزمني الكثير من الوقت لتهدأ اعصابي وأعود إلى حالتي الطبيعية.»

اشاحت برأسها قائلة: «لا أريد ان اسمع هذا. انه شأنك.»

«لا تريدين؟» امسك بذقنها وجذب وجهها نحوه مقتربا منها. «أظن أن هذا ما تريدين ان تسمعيه.»

«أظن انني لا أوافقك الرأي. و... في الواقع كان عليّ أن اشكرك لأنك ذهبت وتركتني بسلام.»

«يا للصغيرة الخبيثة!» وبدا الانفعال على وجهه. لفت نظرها تردد نبضه الظاهر في اوتار عنقه، فاضطربت وازاحت رأسها جانباً.

لقد اخطأت بمجيئها، عرفت ذلك منذ البداية. لم يكن في امكانها ان تقاوم قوة نظراته. فخبرته في هذه الأمور تفوق خبرتها التي تكاد تكون معدومة.

عادت تؤكد بإصرار: «يجب ان أذهب.»

«لا أظنك تريدين الذهاب فعلاً.»

«لماذا أنت...»

«مغرور!» اكمل عنها ساخراً ومتجاهلاً حنقها. لكن تعابير وجهه انقلبت من السخرية إلى الحنان ما ان لامست شفتاه وجنتها.

اختفى صوت انديا. عرفت ان عليها ألا تستسلم وأن تبعده عنها لكنها لم تفعل. لم تستطع ذلك. كانت تنتظر أن تكون أكثر جرأة.

عاد ناتان يحيط رأسها براحيته بمنتهى الرقة، سألها بصوت ينم عن فظاظة لم تكن تتوقعها: «اتريدين المزيد؟» عرفت أن هذه فرصتها الأخيرة للانسحاب إذا كانت تريد ذلك.

ترددت وقالت متلعثمة: «أنا... ناتان...»

سألها: «أنت خائفة مني؟»

«كلا.» هزت برأسها.

«إذاً، ماذا؟»

«لا اعرف.»

وكان ذلك صحيحاً. لم تعد تعرف الصواب من الخطأ أو

ماذا تريد من هذا الرجل الذي كشف الكثير من مكنونات ذاته. شعرت بحاجته اليها وبقدرته على السيطرة على نفسه في نفس الوقت. لم يكن أبداً ذلك الانسان البدائي القاسي والمخيف. كان الحس السليم يقول لها شيئاً وعقلها المسكون بالهواجس يحدثها بأشياء أخرى. وشعرت بأن خطورة التجربة أقوى من احتمالها.

«انديا. لا تدعي أنك لا تريدين ان أقبلك. أنا اعرف جيداً متى تريد المرأة أو لا تريد.»

لا شك في أنه يعرف! حاولت ان تقاوم بعقلها الرغبات الخطرة التي كان يثيرها في نفسها. تحركت مخاوفها من جديد. أهكذا اغوى امها من قبل؟ فتجاوزت آديل حدود طاقتها على الاحتمال؟ لا يهمها ذلك!

قد تكون أمها تجاوزت الخط الأحمر وسقطت في التجربة وقد لا تكون. لم يعد لذلك أية أهمية الآن. حتى الأشياء حولها، الغرفة المضاءة سقسقة المياه على جوانب المركب، الموسيقى والضحكات الآتية من اليخت الآخر... كل ذلك تلاشى وأصبح بلا معنى، مجرد ديكور تافه. كل ما كانت تراه هو ناتان.

الفصل الحادي عشر

كان ناتان لا يزال شبه نائم حين سمع وقع أقدام غريغ على الدرج. قال بفظاظته العسكرية القديمة: «انهض يا رجل. هل تعرف كم الساعة الآن؟»

لم يبال ناتان بالأمر. نهض بتثاقل وشعر في الواقع أنه لا يهتم بشيء هذا الصباح. أحسّ بصداع قوي وبجفاف في حلقه وخواء مزعج في معدته. تمنى لو أنه قاد اليخت في رحلة بعد أن غادرته انديا الليلة الماضية، ليكون له الوقت الكافي لاستيعاب ما حصل بينهما.

لقد أخطأ، فكر بأسف كانت فعلاً غلطة. فبينما كل شيء بينهما يجري على أروع ما يكون، تسرع مندفعاً دون مراعاة لشعورها.

زمجر حانقاً وهو يحك رأسه بعصبية. كان يعلم مدى هشاشة علاقته باندیا، ومع ذلك لم يراع حساسيتها فتسبب بقطع خيوط الثقة التي بدأ ينسجها بينهما. كان يريد أن تكون العلاقة بينهما صريحة دون أي تحفظ لكنه تصرف بطريقة فظة أوصلته إلى حيث لا يريد.

تنهد متذكراً تفاصيل ليلة أمس. كانت أنديا دائماً تبدو هادئة واثقة من نفسها وقادرة على التحكم بمشاعرها. ليت في امكانه أن يأخذ منها شيئاً من هذه الميزات.

لم يكن في الواقع متفهماً لدقة الموقف؛ مع ذلك فقد فوجيء عندما اكتشف أنها كانت بريئة تماماً. بينما كان يتصرف معها بشيء من الفظاظة والخشونة.

كان عليه آنذاك أن يتركها تذهب، أن يعتذر منها عن تصرفه الفظ. برغم أنها أكدت بطيبتها العفوية انها هي أيضاً مسؤولة عما حصل. لو فعل ذلك وتوقف عند هذا الحد لهان الأمر.

المخجل في الأمر أنها هي التي علمته درساً مهماً. براءتها وبساطتها جعلته يشعر بتفاهة ومحدودية تفكيره. مع انديا بدأ يشعر لأول مرة ان للحب أبعاداً تتجاوز المتعة الحسيّة.

فقد كان دائماً يشعر في أعماقه انه واندیا يمكن أن يكونا سعيدين معاً. ربما كانت أمها على حق في هذه النقطة بالذات. ربما كان دائماً يريدها منذ أيام الطفولة تلك. ومن المؤكد أنه طوال مدة غيابه، لم يكن متحمساً للارتباط بأية امرأة أخرى، فكأنه كان مرتبطاً بها لا شعورياً.

لأجل هذا ربما، وبطريقة لا شعورية تصرف معها بشكل فظ، فقطع ذلك الخيط الرفيع الذي كان يربط بينهما وجرح شعورها بغباء. وعندما تأكد أنه بدأ يستعيد ثقتها، خذل هذه الثقة، ولماذا؟ لأنه كان خائفاً من مواجهة حقيقة علاقته بها ومن البوح لها بأسرار قلبه.

اللعنة! تمتم، غير مبال بوجود غريغ الذي كان يتأمله بعينين فاحصتين. إنه أكبر من أن يؤمن بقصص الحب التي كان يقرأها في طفولته. عندما قالت له: «أحبك.» لم يأخذ الكلمة على محمل الجدّ وبدل أن يتنازل ويعترف ببساطة انه هو أيضاً يحبها، أكد لها بكلام مبهم أنه يفكر فيها. رأى اثر ذلك تصلب وجهها وأدرك أن ليس هذا ما كانت تتوقعه منه. تباً! لعلّها فكرت أنه قال مثل هذا الكلام لأمها، تساءل

بقلق. اللعنة على آديل، إذا كانت قد لفّقت كذبة كهذه وأقنعت انديا بها. لو فعلت ذلك حقاً، تكون قد أفسدت بقية حياته.

بالطبع، بعد أن ذهبت، حاول دون نجاح أن يبرر طريقة تصرفه معها. لم يجد لنفسه أي عذر مقبول. عبثاً حاول أن يقنع نفسه بأنه من السابق لأوانه الجزم في هذا الموضوع، وبأنه ليس متأكداً من أنه يحبها فعلاً وانها تحبه كذلك.

بعد انصرافها استسلم للنوم. حتى في الأحلام لم يستطع أن يهرب من ذاته. وصحا على حقيقة لا شك فيها؛ إنّ ما كان يخاف منه حقاً، هو مواجهة مشاعره الخاصة. لقد صدم مرّة من قبل وهو يخشى أن يصدم ثانية.

رفع غريغ الستائر التي كان أسدلها الليلة الفائتة، فدخلت أشعة الشمس الساخنة إلى الغرفة وغطى ناتان عينيه اتقاء لوهجها المفاجيء.

ساله غريغ وهو واقف إلى جانب الأريكة، ينظر إليه بعينين حائرتين: «هل أنت على ما يرام؟ ما هذا؟ هل كان عندك حفلة أو لقاء خاص؟»

لوى ناتان شفتيه مجيباً: «ليس الأمر كما تظن.»

اشتمّ غريغ جوّ الغرفة وقال: «كانت سيدة، أليس كذلك؟»

تمتم ناتان: «لديك حاسة شم أقوى من كلب سلوقي.» ونهض جالساً على الأريكة واضعاً يديه على وجنتيه ثم أردف: «أشعر كانني متشرد قذر.»

علّق غريغ ساخراً: «تبدو أسوأ من ذلك. من كان عندك إذاً؟ أم أن هذه... مسالة عائلية؟»

ابتسم ناتان دون مزاج: «حسناً، انديا كانت هنا. أهذا يرضيك؟»

«صحيح، هل قررت أخيراً أن تصدقك؟»

قال ناتان بحدة: «اللعنة يا غريغ، لا أعلم ماذا يدور في رأسها. لكن أظن أنها تعتبرني قذراً.»

تمعن فيه غريغ لحظة ثم ذهب يحضّر القهوة وسأل: «متى نسافر؟»

اجفل ناتان. «نسافر؟ لا أدري...»

قال مذكراً صديقه: «عندك موعد في نيويورك بعد غد، ووعدت بحضور العرض في دالاس، يوم الجمعة القادم.»

زمجر ناتان ووضع مرفقيه على ركبتيه ورأسه بين يديه. الشركة التي كانت حتى الآن الشيء الأهم في حياته بدت فجأة كأنها عبء بالنسبة إليه. رفع عينيه نحو صديقه كأنه يطلب النجدة.

هزّ غريغ رأسه وقال: «يبدو الأمر سيئاً. ماذا تفكر أن تفعل؟»

نظر إليه ناتان نظرة احباط قائلاً: «لا أعلم يا صديقي. أظن انني أحبها. أليس هذا هو الأهم الآن؟»

كانت انديا جالسة إلى مكتب أبيها عندما دخلت أمها إلى الغرفة. كانت هناك منذ نحو ساعة، مسندة رأسها، تتأمل بلاطة المكتب الغرانيتية وتحاول إشغال نفسها بأمور شتى، دون أن تنجح في تغييب ناتان عن ذهنها.

ناتان!

لفظت شفتاها اسمه وأغمضت عينيها متألمة. إنها تحتقره لكنها تحبه! لقد أحبته دائماً. لكن، بعد ليلة أمس عرفت انه لا يحب سوى نفسه.

بعد عودتها من اليخت، شعرت بحاجة للبكاء. اقفلت

www.rewity.com

عليها باب غرفتها وهي متأكدة من انها سترتكب حماقة ما ولا تريد شاهداً عليها. لم يكن هناك أي احتمال أن يزعجها أحد في الرابعة صباحاً. لكنها كانت في حاجة للاطمئنان خلف بابها المقفل.

لكنها لم تبكِ، جلست على حافة سريرها تنتظر أن تنهمر دموعها، لكن لم يرف لها جفن. أحست بجفاف وخواء داخلي كما لو أن مشاعرها وانفعالاتها نضبت كلياً. غريب، كيف لا تنفطر أحشاؤها لكارثة كهذه. ان تقدم أنبل مشاعرها الرجل لا يقدرها وتهدر كرامتها، هذا ليس بالأمر السهل.

ابتسمت بألم وسخرية. ففي الوقت الذي اعتقدت فيه أن علاقتهما وصلت إلى برّ الأمان وأن في امكانهما أخيراً أن يأملا بالسعادة معاً... خيّب ناتان هذا الأمل وحطّم كل أحلامها. حوّل لقاء العمر بكلمات قليلة خالية من أية عاطفة، إلى مجرد لقاء تافه.

أمضت ساعات تفكر بذهول، تتساءل عن حقيقة ما حدث وأين أخطأت. كل ما في الأمر انها في لحظة طيش قالت له انها تحبه.

وجدت نفسها الآن نادمة لقول هذه الكلمة كما كانت قد ندمت لأشياء كثيرة أخرى في حياتها، برغم حداثة سنها. لقد رفض ناتان حبها. لم يكن يوماً يفكر في ذلك. واكثر ما يؤلمها، تفكيرها بأنها يمكن أن تكون غريمة لأمها...

«اللعنة، أنتِ هنا، يا انديا!»

كانت نبرة صوت آديل كفيلة بانعاش انديا، التي كانت في حالة نفسية كئيبة. تمالكت نفسها وعادت إلى هدوئها بعد أن أغلقت أمها الباب خلفها. أمسكت ملفاً قريباً منها

كان غريغ ساندرز يدرسه، وادّعت انها كانت مشغولة. ولما كانت آديل متلهفة لسرد أخبار مهمة، فقد أشارت إلى ابنتها بتأجيل عملها.

سألت انديا دون أن يبدو عليها أي ارتباك: «أهناك شيء على غير ما يرام يا أمي؟»

قالت آديل وهي تجلس في كرسي قبالتها ممعنة النظر إلى ابنتها: «هذا ما سنراه. ماذا أخبرك ناتان عن نفسه؟ أريد أن أعرف كل ما قاله.»

احمرت وجنتا انديا وتساءلت لحظة إذا كانت آديل قد عرفت أين أمضت معظم الليلة السابقة. لكن، لا يبدو عليها ذلك. فتعابيرها لا تدلّ على الغضب ولا توحي بأنها تعرف شيئاً. أنىّ لها أن تعرف؟ فناتان كان حريصاً للغاية، لم يتلطف حتى بمرافقتها أثناء عودتها إلى الفندق. صرفت أفكارها بصعوبة عن الهوة التي تفصل بينها وبين أمها. هزّت كتفيها متجاهلة أبعاد سؤالها وأجابت: «عن نفسه؟ حسناً، أظن أنك تعرفين عنه ما أعرفه أنا. كل ما أعرفه أنه اشتغل بعض الوقت في فندق، كما قال. لكنك سمعته عندما قال ذلك، ألا تتذكرين؟»

سألت آديل بالحاح: «أجل، أجل. لكن ماذا أخبرك أيضاً. هل أخبرك بأنه كان في الجيش؟ وبأنه التقى هناك هذا الرجل، غريغ ساندرز؟»

اكتفت بالقول: «لا يا أمي.» كانت تشعر بصداع ومزاجها السيىء لم يكن يسمح لها بالدخول في لعبة الأسئلة والأجوبة مع آديل. لولا خوفها من التساؤلات التي قد يثيرها غيابها عن المكتب لفضّلت أن تمضي النهار في سريرها.

«هل أنت متأكدة؟»

«بالطبع متأكدة. اسمعي، يا أمي. إذا كان لديك ما تقولين، لمَ لا تدخلي مباشرة في الموضوع؟ إذا كنت أنت مرتاحة، فأنا عندي عمل عليّ انجازه. لن أترك وظيفتي قبل أن أقال منها.»

قالت آديل: «لن يكون هناك أية مشكلة بخصوص عملك.» وهي تأخذ راحتها في مقعدها وتربت بأصابعها على المتكأ. ومضت تقول: «إن فندق كاتريك مضمون يا انديا. ثقي بكلامي في هذا الشأن. أو بالأحرى بكلام السناتور ماركهام الذي أثق به أكثر من أي شخص آخر.»

«السناتور ماركهام؟ عما تتكلمين يا أمي؟»

«أنا أتكلم عن ناتان، يا انديا. عن ابن زوجي الحذق للغاية! نحن نفكر بسذاجة كيف سيؤمن المال لانقاذ جزيرة بليكان. يا عزيزتي إن شقيقك مليونير! انه صاحب مجموعة فنادق ومنتجعات.»

فغرت انديا فاها. «ماذا؟» ورددت كلمات أمها بنفاد صبر: «قلت انه يملك مجموعة منتجعات؟»

«ما بك جالسة تحملقين بي بغباء، يا انديا؟ أما عندك شيء ايجابي تقولينه؟ قولي كم أنت ذكية يا أمي. اسأليني كيف عرفت هذه المعلومات.»

لم تكن انديا قادرة على استيعاب كلام آديل، تمتمت: «ماما...»

«حسناً، سأخبرك.» كانت انديا تشعر بأن أمها ستتكلم على أية حال دون أن تسألها ذلك.

«توصلت إلى هذه المعلومات بفضل الرجل الآخر. غريغ ساندرز، تذكرينه، أليس كذلك؟»

«لا تكوني حمقاء، يا أمي.»

«حسناً... ربما كنت حمقاء. لكن ما ان رأيته عرفت أن وجهه ليس غريباً عني، فقد تذكرت أني رأيت صورته على غلاف مجلة التايمز. لا توضع صورة أيّ كان على الغلاف أليس كذلك؟ وعندما قال ناتان انه شريكه، اشتغل فكري بسرعة واتصلت بوودي.»

«من ووديّ؟»

«أوه، أعني السناتور ماركهام.» قالت آديل ذلك وقد احمرّ وجهها قليلاً. وتساءلت انديا عن سبب ذلك، فهي لم تكن تعرف أبداً أن أمها تخاطب السناتور ماركهام باسمه الأول وبصيغة التحبب! تابعت آديل: «المهم اتصلت به. وسألته إذا كان قد سمع عن شخص يدعى غريغ ساندرز. فعرف فوراً الشخص الذي سألته عنه.»

«شريك ناتان؟»

«نعم شريك ناتان... في منتجعات سوليفان! لأجل ذلك كانت صورة غريغ على غلاف التايمز. لقد نال لقب رجل الأعمال الناجح لهذا العام!»

أغمضت انديا عينيها قائلة: «لقد فهمت.»

«فهمت؟ فهمت حقاً يا انديا؟ جعلت وود... السناتور ماركهام يخبرني كل شيء عن هذه القصة. يبدو أن ناتان أمضى ثلاث سنوات في الجيش قبل أن يستثمر مزرعة قديمة في فلوريدا. بالطبع لم يستثمرها في زراعة الفواكه، بل أنشأ فيها أول منتجعاته. بالتأكيد سمعت عن مراكز سوليفان. إنها شبكة منتجعات في كافة أنحاء الولايات المتحدة.»

قالت انديا باعياء: «نعم، سمعت عنها.» أحسّت بأن رأسها يكاد ينفجر من الصداع، لا عجب إذا كان ناتان يعتبر فندق كاتريك «فرق عملة». فبالنسبة لشركته، هي وموظفو الفندق بمثابة دواجن يعلفها ليستثمرها بشكل أفضل.

تأملتها آديل: «حسناً! أهذا كل ما يمكنك قوله؟ عليك أن تبدي لي بعض الامتنان لإزالة شكوكك بخصوص العمل. ناتان لن يغلق الفندق. انه مهم بالنسبة إليه.»

هزت انديا رأسها قائلة: «لا يمكنك أن تضمني ذلك يا أمي.»

«بل أضمنه. ناتان قال هذا، ألا تذكرين؟ قال انه سيؤمن المال إذا استلمت أنت إدارة الفندق.»

«أجل، ولكن...» تأكدت انديا على ضوء ما كشفته أمها كم كانت ساذجة وواهمة في تعليق آمالها على ناتان. فحتى هذه اللحظة، كانت تريد أن تعتقد أن ناتان قد يكتشف خطأه. وبرغم أنه جرح شعورها فإنها كانت متمسكة باعتقادها أنه ما زال هو نفسه كما عرفته في الماضي. كان هذا موقفها حتى دخول أمها إلى الغرفة. أما الآن فقد عرفت أن عليها أن تنفذ ما كانت مصممة عليه الليلة الماضية. قالت لأمها: «لكن، سوف أترك الجزيرة.»

صرخت آديل غير مصدقة: «تتركين! لستِ جادة في ما تقولين. أنا... لن أسمح بذلك.»

ردّت انديا ببساطة: «هذا الموضوع لا يعنيك. أنا متأكدة انه إذا كان متعلقاً بك سيسمح لك بالبقاء هنا. أما أنا فإني في حاجة لتغيير نمط حياتي ولتغيير هذا الجو أيضاً.»

حدّقت آديل فيها وقالت: «أنتِ تحبينه. أليس كذلك؟ لقد اشتبهت في هذا الأمر من قبل. لكن... هذه حماقة.»

«أعلم ذلك.»

«أنت لا تنكرين إذاً أنك تحبينه.»

«لا أهمية لهذا الآن. كان هذا من شجون الماضي. على كل حال، لا تقلقي لهذا الأمر، فهو لا يحبني.» وقلّبت شفتيها مضيفة: «ربما لا يزال يميل إليك.»

«يميل إليّ؟» بدت آديل شاحبة للحظة ثم ارتسمت على وجهها علامات تفكير عميق. كتفت انديا يديها وتصلّب وجهها في انتظار سماع عبارات الذمّ والازدراء لناتان وعندما تكلمت آديل أخيراً، فوجئت انديا بما لم تكن تتوقع سماعه: «اسمعي يا انديا.» واستقامت في جلستها واضعة يديها على المكتب. «ألا تظنين انه حان الوقت لتتخلي عن مشاعرك الانتقامية.»

نظرت انديا إليها مشدوهة وقالت: «مشاعري الانتقامية؟»

أجابت آديل بحذر: «نعم، الانتقامية. أعني إذا كان في امكاني أنا أن أسامح ناتان، فلِمَ لا يكون في امكانك أنت؟ انه لم يسيء اليك، لكن أنا من تتحمل وطأة الانتقادات والشائعات الظالمة.»

«صحيح؟» تساءلت انديا، ماذا يمكن أن تقول أمها إذا هي أخبرتها ماذا فعل بها ناتان الليلة الماضية. هل يمكن أن يغير هذا في موقفها من ناتان؟ أم أنها سترى في الحادثة سبباً لابعادها نهائياً عن ناتان؟

«أنا... سأترك الجزيرة. مهما يكن موقفك، هذا ما عليّ أن أفعله.»

«تباً، يا انديا لن أتركك تفعلين هذا!»

«لا يمكنك أن تمنعيني.»

«لا يمكنني؟ انديا... ماذا لو أخبرتك بأنني بالغت قليلاً.»

حدقت فيها انديا: «بالغت؟ في أي موضوع؟»

بدت آديل متجهمة: «موضوع ناتان، طبعاً من غيره؟»

«هل تعنين بخصوص امتلاكه لشركة سوليفان سباس؟»

«أوه، لا تكوني بليدة يا انديا. أنت تعلمين كم أكره أن تتظاهري بأنك لم تفهميني.» وتابعت بصوت منخفض: «أعني بخصوص ما حدث في ذلك الصباح، عندما طرد آرون ناتان من الجزيرة.»

ارتجفت انديا. «ماذا تقولين؟»

أجابت آديل متوترة: «ألم تسمعيني؟»

وقفت انديا بصعوبة وهي تقول: «نعم، سمعتك، لكن... لم أصدق أذنيّ.»

عادت آديل لوضع الاسترخاء في مقعدها واضعة رجلاً فوق أخرى بسروالها الضيق وقالت: «بل صدقيها يا انديا. ربما كنت أسأت فهم موقف ناتان. هذا كل ما في الأمر.»

واستدركت بسرعة: «لا أقول انني أخطأت بالتأكيد، لكن أفترض أن هذا أمر محتمل.»

الفصل الثاني عشر

كان ناتان يوضب حقيبته عندما سمع باب شقته يطرق. مع أنه لم يكن يريد المغادرة في هذا الوقت بالذات، إلا أنه اقتنع بكلام غريغ بأن عليه ان يعطي انديا بعض الوقت قبل أن يحاول اقناعها بصدق مشاعره نحوها. فهي ليست مستعدة أن تصدقه وربما حتى، ان تستمع إليه الآن، في رأي صديقه. وهي لن تعرف القصة كاملة حتى يسمح له الوقت ليحدثها عن مشاريعه.

«أدخل.» قال ناتان متابعاً توضيب اغراضه. توقع أن يكون غريغ أو ربما أحد الخدم. لكنه صر باسنانه غضباً عندما دخلت آديل إلى الغرفة.

«ماذا تريدين؟»

قالت عاتبة: «أهذه طريقتك في التحدث مع خالتك؟ أريد فقط أن اتحدث اليك يا ناتان. هذا كل ما في الأمر.»

استقام ناتان في وقفته وتمنى لو أنه لبس ثيابه قبل توضيب الحقيبة. بعد (الدوش)، كان قد لبس ثوب الحمام الأسود، وقد انزعج لمنظره هذا أمام آديل.

على أية حال، ليس عليه أن يخشى شيئاً من ناحيتها الآن، فكر بعدائية، برغم أثر من خوف ما زال كافياً في مخيلته. فهذا المشهد يذكره بتلك المناسبة المشؤومة عندما اتهمه ابوه تلك التهمة الجائرة. وبعد قراءته لرسالة أبيه أصبح أكثر تيقظاً لخبثها فإذا اكتشفت انديا انه...

أجاب وهو يبذل جهداً ليبقى مهذباً: «اعتقد أن عليك أن تخرجي من هنا. لم يعد لدينا ما يقوله أحدنا للآخر.»

«أوه لا اوافقك على ذلك.» قالت وهي تجيل نظرة على الغرفة، ثم ابتسمت ثانية ومضت تقول: «مكان جميل، اليس كذلك؟ هل تعلم أن لإنديا يدا في تزيينه؟ بالطبع استخدمنا فناناً محترفاً للقيام بهذا العمل، لكن كانت لانديا أفكار جيدة في هذا المجال...»

شد على قبضته ووقف في وجهها مزمجراً: «آديل اوقفي هذا الهراء. لا تهمني ملاحظاتك حول الشقة أو أي شيء آخر. اريدك أن تخرجي فوراً، قبل أن اطلب رجال الأمن ليرموك خارجاً.»

ملأت ضحكتها الغرفة وقالت: «أوه، يا ناتان لا يمكنك أن تفعل هذا.»

«لا يمكنني؟»

«لا، لسبب وحيد، سيكون من الصعب جداً أن تفسر لانديا سبب وجودي هنا معك وانت في ثوب الحمام.»

«ايتها السافلة! إذا كنت تظنين أنك ستعيدين مسرحيتك القديمة بنجاح...»

رفعت يديها مطمئنة: «لا عليك من هذه الناحية. هل قلت انني جئت لأجل هذا؟ لا. أنت ترفع عليّ المسدس دون حاجة له. لا أتصور أن انديا ستكون ساذجة بقدر ما كان ابوها. وعلى أية حال ربما لن تهتم للأمر.» صمتت لحظة لتلاحظ رد فعله ثم اضافت بلهجة رقيقة: «قالت انها ستترك الجزيرة.»

«تغادر!» تمكن ناتان بجهد خارق من توقيف هذه الكلمة

في حلقه. لم يكن واثقاً من نجاحه في اخفاء ردة فعله لكن آديل بدت مقتنعة.

«حسناً، أليس لديك اي تعليق كأن تقول انك لن تتركها تفعل ذلك؟»

لم يكن ناتان متأكداً من اللعبة التي تلعبها آديل لكنه كان مصدوماً بحيث لن يسمح لها بالتمادي في لعبتها. قال كاتماً غضبه وهو يشد على قبضتيه: «لماذا عليّ ان امنعها؟ إذا شاءت ان تترك، فهي حرة التصرف بحياتها الخاصة. لاأستطيع شيئاً حيال ذلك.»

«تباً! لا تستطيع شيئاً؟» أخيراً نجح في اثارة غضبها، قال ناتان في نفسه. وحسب خبرته، قلما يعني الناس ما يقولونه في حالة الغضب، وآديل لا تشذ عن القاعدة. أضافت: «إنها تفعل أي شيء تريده منها. أنت تعرف ذلك.»

أجاب ناتان متصنعاً اللامبالاة، بينما كانت احشاؤه تتحرق لهفة: «حقاً؟ أشك في ذلك.»

«بالطبع تفعل أي شيء. لقد اخبرتك قبل سنوات ان الفتاة مفتونة بك. كانت دائما متعلقة بك وستبقى. ثم انك قلت ان بقاءها شرط لانقاذ الفندق. لا يمكنك ان تتركها تذهب.»

بدأ ناتان يفهم مناورة آديل فقال بسخرية: «تقصدين أنه إذا غادرت انديا، فسيكون عليك الحلول محلها.»

«لم أقل ذلك.»

«لم يكن عليك أن تقوليه. مسكينة آديل! ماذا تفعلين عندما لا يعود في إمكانك تأمين مصاريفك التي يغطيها الفندق:»

امتقع لونها لكنها تمالكت نفسها وقالت: «أنت تحب أن يحدث ذلك بالتأكيد. تتمنى أن تراني اتألم. حسناً، لا تقلق. لن يحدث هذا ابداً. كان يجدر بك أن تعرفني اكثر من ذلك. لن اترك هذا المكان حتى تضيعه بالكامل.»

عبس ناتان وأجاب: «أخشى أن...»

لكنها قاطعته قائلة: «لا تستعمل معي هذا الأسلوب يا ناتان، قد تظن أن كل الأوراق في يدك لكن الأمر ليس كما تتصور. أنا اعلم من انت، وأعرف كل شيء عن منتجعات سوليفان. ما كان يجب أن تختار شريكا ذا وجه مميز. فقد تعرفت عليه ما ان رأيته.»

فكر ناتان، هل أخبرت انديا اكاذيب مختلقة تزيد من شعورها بالخيبة والنفور منه. كان عليه أن يخبرها بنفسه كل شيء.

«انك تفهمني، يا ناتان. كلمة واحدة اعطيها للصحافة حول صعوباتنا المالية وتبدأ المشاكل التي لا نعلم كيف تنتهي. ماذا يكون مصير فندق كاتريك في هذه الحالة؟ سيغرق نزل أبيك الصغير فلا يبقى له أثر!»

بلع ناتان ريقه غضباً وسمع في هذه اللحظة صوتاً خافتاً في الممر الخارجي. غريغ؟ فكر بشيء من الارتياح. هل كان غريغ في الخارج يسمع حديثهما؟ لكن النسيم الداخل من خلال الستائر دفع الباب فظن ناتان أن هذا هو مصدر الصوت وليس شريكه.

«إذاً، ما هو الثمن الذي تطلبينه؟» قال ناتان ذلك بخشونة واقتضاب، متسائلاً أين يمكن ان تذهب آديل في مناورتها هذه. لا شك في أن الصحافة يمكن أن تؤذي المشروع. كان

يعرف ذلك جيداً، لكنه لن يرضى بالابتزاز مهما كلف الأمر. ثم اوضح: «أظن انك تطلبين ثمناً لسكوتك.»

أجابت وقد بدأت تستعيد ثقتها بنفسها: «بالطبع، ألم اكن كذلك دائماً؟ كان بإمكانك أن تبقى هنا سيداً كل تلك السنوات لو كنت مستعداً لدفع الثمن البسيط الذي طلبته منك. لو تجاوبت معي آنذاك ما كان والدك عرف شيئاً. لكنك كنت متأكداً أنه سيصدقك ونعرف كيف انقلبت الآية في ما بعد.»

«آديل...» تقدم نحوها بشكل عدواني والشرر يتطاير من عينيه، لكنها رفعت يديها بحركة مسرحية لتهدئته. «حسناً، ربما لم تكن ترغب بي حقاً آنذاك، أو ربما تمنعت احتراماً لأبيك. من يعلم؟ الحقيقة هي انك اضعت كل شيء ولا أظن انك ستجازف مرة ثانية.»

«ماذا تريدين يا آديل؟ ما الثمن الذي تطلبين لأعرف إذا كان في امكاني مواجهته.»

«بالطبع يمكنك. كل ما أريده منك أن تجعل انديا تبقى هنا. لا شك في انها تبقى إذا طلبت منها ذلك. في هذه الحالة يمكنني الاستمرار...» قاطعها صوت متهدج من باب الممر «يمكنك الاستمرار في أكاذيبك الوقحة! يا أمي، كيف يمكنك أن تكوني مبتذلة إلى هذه الدرجة؟»

كان هذا اسوأ يوم في حياة انديا. مرت بأيام صعبة قبل ذلك، خصوصاً يوم طرد ناتان من بيته. شعرت يومذاك أنها مريضة وتعيسة لكن ليس بقدر تعاستها هذا المساء. فقد كانت تتمزق ألماً وهي تجمع امتعتها استعداداً للرحيل. كان لديها اشياء كثيرة جمعتها خلال الخمس عشرة سنة

الماضية. هذا البيت هو بيتها الوحيد الذي تتذكره، وهي تشعر الآن انه سينسلخ من قلبها. وأشد من هذا ايلاما شعورها بأنها قد لا ترى ناتان ثانية. كيف تمكن من أن يتحمل النظر إليها أو إلى أمها. لقد أخذتا الكثير من عمره ومن هنائه، الكثير الذي لا يمكن تعويضه.

لكن على الأقل استطاعت ان تمنع امها من التسبب بالمزيد من الأذى، ما ان تأكدت آديل أن انديا تبعتها إلى غرفة ناتان وسمعت حديثهما، حتى انهارت. فابنتها واجهتها بعنف بعد ما عرفت الحقيقة، ولم تكن لتخسر شيئاً باستخدامها. كان آخر ما يخطر في بالها أن تنفضح قصتها وتنشر على صفحات الجرائد. كانت قد قرأت ما يكفي من القصص عن أهل يظلمون اولادهم لتعرف ان قصتها ستكون مثيرة إذا نشرت، ولا يمكن إذ ذاك التغاضي عنها. علاوة على ذلك، كانت انديا تشك في أن آديل حاولت اخفاء بعض علاقاتها المشبوهة ليس اقلها ارتباطها بمدللها وودي ماركهام

بالطبع كانت مشاجرتها مع أمها امام ناتان فصلاً مؤلماً. وبرغم أنه حاول التدخل مهدئاً، فإنها لم تفسح له المجال لذلك. لم تكن يوما مرتبكة كما كانت عندما سمعت امها تقول عنها دون اكتراث أنها كانت «مفتونة به». كانت على وشك ان تدخل وتقاطعهما. لكنها تروت منتظرة سماع المزيد. لم تكن تعلم في الحقيقة لماذا تبعت أمها آنذاك. فآديل لم تقل انها ذاهبة لترى ناتان. كان مجرد شك لديها في أن امها قد تذهب لمحاولة إغواء ناتان. لحسن الحظ صدق ظنها، لكن ما سمعته كان محاولة ابتزاز ليس إلا.

تذكرت الآن بصعوبة كيف أخرجت امها من غرفة ناتان. كان منظراً مثيراً للاشفاق. كانت آديل تنشج وتنوح مدعية أن الموضوع خطأ من الأساس وأنه أسيء فهمها، فهي كانت تريد مصلحة انديا وناتان قبل أي شيء آخر. بالطبع لم يصدقها أحد، خصوصاً ناتان، الذي بعد ان حاول دون حماس التدخل بينها وبين أمها. بدا بعد ذلك لا مبالياً كأنها لم تعد مشكلة عائلية بالنسبة إليه.

ارتجفت انديا وهي تستعيد هذا المشهد وتتذكر كيف امضت باقي النهار تهدىء روع آديل الباكية وتطمئنها بأنها مهما كانت قد فعلت فلن تتخلى عنها. فمع انها كانت تريد لا شعورياً، في السابق، ان تكون مسؤولية ما حدث قبل ثماني سنوات، على عاتق أمها ـ أو تتمنى تبرئة ناتان على الأقل ـ مع ذلك لا يمكنها الآن تجاهل تواطؤها مع امها. فقد تسرعت في الحكم على ناتان وتصديق كلام امها دون أن تصغي إليه وهو صديق طفولتها الذي لم يخذل ثقتها يوماً.

لم تعرف كيف أمضى ناتان هذا النهار، وحسب علمها يمكن ان يكون قد غادر الجزيرة. فعندما دخلت شقته هذا الصباح بدا كأنه يستعد للسفر وحقيبته موضبة إلى جانبه. لاحظت ذلك برغم توترها وتركيز انتباهها على أمها. ولاحظت ايضاً أن ناتان كان يرتدي روب الحمام فقط وشعره الناعم الرطب يلمع بعد الدوش.

تنهدت بحسرة ويأس. كيف يمكنها أن ترى وجه ناتان بعد اليوم إذا كان لها أن تراه دون أن ينفطر قلبها لوعة. هل يمكن أن تنساه حقاً؟ كانت تشعر بالرجل الذي تحبّ دون أن

تراه. إنه شعور خفي لم تعرف له تفسيراً. أهذا ما يسمونه الحاسة السادسة؟

امتلأ الصندوق بالأمتعة التي وضبتها فاقفلته وابعدته بصعوبة عن سريرها، محاولة جره نحو الباب. شعرت بالاحباط لضعفها. فصندوق كهذا يلزمه اثنان لنقله وإلا سيتطلب منها نقل المجموعة يومين كاملين. لا بد من الاستعانة بأحد، لكن من؟ فكرت مقلبة شفتيها. أمها؟ هذا أمر مستبعد، فآديل عندها الكثير من الامتعة للتوضيب ولا تظن انها بدأت هذه المهمة. فهي تعلم أن امها اتكالية، تنتظر منها أن تنتهي من توضيب امتعتها لتاتي وتساعدها.

بدا منظر الصناديق المصطفة امام الباب، بشعاً لا يتناسب مع الألوان الخضراء والذهبية للغرفة الأنيقة. كانت بوجودها هنا تفسد ما يفترض ان يكون آخر ليلة تمضيها في هذه الشقة. واقل ما يمكن أن تفعله هو نقلها نحو الباب المجاور ووضعها في زاوية.

أمسكت بأحد الصناديق وجرته عبر غرفة الجلوس. لكنه أرهق يديها النحيلتين ووجدت منظره بشعاً هنا أيضاً، فليذهب إلى الجحيم، ستترك الصناديق في الممر. لا يبدو أن أحداً يمكن أن يأخذها من هنا. وإذا فعل فلن تاسف عليها كثيراً بعد أن فقدت الأهم.

فتحت الباب وانحنت تشد بكل قوتها لتجر الصندوق عبر العتبة. وإذا بها ترى حذاء لماعاً لقدمين واقفتين بثبات خارج العتبة. أجالت عينيها صعوداً عبر سروال من الحرير الأزرق، فقميص أنيقة كشفت ياقته المفتوحة عن... صدره الأسمر.

إنه صدر ناتان، اعترفت جازمة، وقد شعرت بأنه هو، قبل أن يقع نظرها على وجهه المتجهم بوقت طويل. غريب! كانت تفكر قبل لحظات في تلك الصلة الروحية التي بينهما، او التي كانت ربما من طرف واحد فقط.

مع ذلك لم يقل شيئاً. كان عليها هي أن تقوم بالخطوة الأولى. حاولت أن تظهر كأنه لم يعد يهمها سوى مراعاة الشكليات بينهما. فقالت: «أوه، آسفة لم اشعر بقدومك.»

«لم أطرق الباب.» قالها باقتضاب. وتساءلت إذا كان في لهجته شيء من السخرية أم أنه خيل إليها ذلك.

«ايمكنني الدخول على اية حال؟ إني بحاجة للتحدث إليك.»

قالت متلفتة حولها: «أنا... ظننت انك سافرت.»

«ما زلت هنا كما ترين.»

«لكنك على وشك السفر. أليس كذلك؟»

أجال نظره في الممر بشيء من التوتر وقال: «هل هذا يهمك؟ اسمعي. أتريدين ان تلفتي انتباه من في الفندق؟ كل ما اطلبه هو بضع دقائق من وقتك، الآن. ممكن؟»

بلعت انديا ريقها، ووقفت ممسكة بالباب وقالت: «لِمَ لا؟»

مشى نحو الداخل وقال: «اعتقد انك بمفردك.»

ترددت لحظة ثم اغلقت الباب واستندت إليه وقالت مقلدة طريقته في الحديث: «كما ترى، كنت... أوضب امتعتي.»

أضافت وهي تهز كتفيها متصنعة اللامبالاة: «إنه عمل متعب.»

«لا تفعلي ذلك إذاً.»

عضت انديا على شفتها وقالت: «أنا... أفضل أن اقوم بذلك. لا أحب أن ازعج الآخرين في...»

قال ناتان بخشونة: «أعني... لا تذهبي.» وقف امامها ويداه تضغطان بعصبية على مقدم ساقيه. وأردف: «ليس عليك أن تتركي يا انديا ولا شأن لهذا بتصرفات أمك. اللعنة، هذا بيتكما. إذا شئتما البقاء فمن يمنعكما؟»

استندت انديا إلى الباب خلفها كي لا تخونها قواها نتيجة للانفعال الذي كانت تحاول اخفاءه. وأجابت: «لست تعني حقاً ما تقول.»

«اعنيه بالتأكيد.»

أردفت بقولها: «لكنك لست مدينا لنا بشيء.»

«هل قلت اني مدين لكما؟ انديا ان ما حصل كان قاسياً بالنسبة إليّ، فلا تزيدي قسوته الآن. أريدك أن تبقي. اتفهمينني. اريدك أن تفعلي ما تريدين.»

«ما أريد؟»

«نعم كل ما تريدين.» اطلق زفرة حارة ونظر حوله متلهفاً: «هل عندك شيء اشربه هنا؟»

انطلقت في اللحظة تاركة الباب الذي كانت متشبثة به، وقالت: «عندي شراب مرطب...»

«هذا يكفي.»

«أو يمكنني أن أذهب فأحضر لك العصير.»

«تذهبين لتحضري لي العصير؟» قال مردداً كلماتها «لا تكوني غبية! ليس من الضروري أن تزعجي نفسك لذلك. هذه جيدة خاصة إذا لم تكن من الصنف المستعمل للمحافظة على الوزن.»

«ليست من هذا الصنف.»

اسرعت انديا تلبي الطلب وهي تحاول تركيز أفكارها

المشتتة. كان هاجسها الوحيد أن تفهم دوافع مجيء ناتان إلى غرفتها. برغم علمها انها تكون قد مجنونة إذا ترددت في قبول عرضه.

كان في البراد بعض زجاجات المياه المعدنية وصفائح المرطبات. تناولت انديا احداها وقدمتها له.

لامست أناملها عرضاً أصابعه فلاحظت برودتها.

شعرت بدقة الموقف وخشيت أن تفسد برد فعلها أي كلام ناعم يمكن أن يقوله لها الآن. لكن عليها ألا تنسى في الوقت عينه، أنه كان قد رفض حبها وجرح مشاعرها.

جرع ناتان نصف الصفيحة دفعة واحدة ومسح شفتيه بيده ثم نظر إليها بامتنان قائلاً: «شكراً.»

ردت بلهجة لا تخلو من التهكم: «العفو يا سيدي.» وإذ أدركت الأثر غير المستحب لكلمتها غيرت الحديث بسرعة فقالت: «الجو حار.»

«حار جداً.» أكد ناتان وهو يضع جانباً صفيحة المشروب التي في يده. «أنا لا أعني حرارة الطقس بالطبع.»

كتمت انديا لهفتها متظاهرة انها لم تفهم تلميحه فقالت: «أنا... لا أفهم قصدك.»

أجاب وهو يحدق في تعابير وجهها: «لماذا لا استطيع أن اصدقك؟»

قالت بشيء من الارتباك: «لا أعلم.»

علق بقوله: «اتظنين لأنني لم أتعود أن اسمع كلاماً صادقاً من أحد من هذه العائلة؟» احست انديا عند سماع هذه الملاحظة أن بصيصاً لديها يكاد يختفي.

قالت موافقة: «ربما كان الأمر كذلك. لكن... لكن إذا كان هذا

شعورك لا أفهم لماذا تريدني أن ابقى هنا. إذا كنت تشعر بأية مسؤولية نحو آديل، لا عليك. استطيع أن اهتم بها وبنفسي.»

تصلب وجه ناتان وجزم بقوله: «لا اشعر بأية مسؤولية نحو آديل ولا احن ابداً لأيام آديل. انت التي يهمني أمرك. ألم تفهمي ذلك بعد؟»

كانت لهجته مشجعة نوعاً ما. لكنها تساءلت بحيرة عن دوافع هذا الاهتمام. وشعرت بالغيظ يثور في داخلها إذ خطر في بالها أنه ربما كان يعتبرها ساذجة أو حمقاء، والاهتمام الذي يتحدث عنه الآن هو من نوع الشفقة ألم يكن هذا موقفه، تقريباً ليلة أمس، وهي عائدة من اليخت؟

قالت وهي تختار كلماتها بحذر: ««حسناً أنا متأكدة من انني استحق الإطراء...»

«انديا!»

«... وأنك تشعر بشيء من المسؤولية نحوي لكن هذا غير ضروري حقاً وإذا كان ما تعنيه في الحقيقة هو أن عندك بعض الشعور بالذنب، لما حصل ليلة البارحة...»

لم يعطها فرصة لإكمال حديثها. تقدم نحوها، دون تردد. حاصرها بين ذراعيه واسكتها.

حاولت جمع افكارها المضطربة وقالت مشددة: «ليس عليك أن تفعل هذا، لمجرد أن آديل اخبرتك عن شعوري نحوك. ليس عليك أن تدعي بانك تبادلني نفس الشعور. كنت على أهبة السفر. رأيت حقيبتك جاهزة. أرجوك يا ناتان، دعني أذهب، لا تسير الأمور بشكل...»

أجاب ناتان مبتسماً: «يبدو لي انها تسير بشكل رائع.»

وإذ أحست بإشارته وهو يضغطها بين ذراعيه عرفت بارتياح أنه لا يكذب، على الأقل من هذه الناحية. لكنه اضاف يقول: «اسمعي يا صغيرتي، لقد انتظرت طيلة النهار أن تأتي وتنقذيني من شقائي.»

قالت مرتبكة: «من شقائك؟»

«نعم شقائي. يا انديا، أريدك أن تسامحيني لأنني سببت هذا الصدع بينك وبين أمك.»

نظرت إليه غير مصدقة. «لا معنى لهذا الكلام!»

مرر إصبعه برفق على قوس حاجبيها وقال: «اتظنين ذلك يا حبيبتي؟ إن هذه المرأة سببت لنا الكثير من الأسى. لم أرد أن أتركها في وضع تتمكن فيه أن تعود لتثيرك ضدي.»

اغمضت ثم فتحت عينين مغرورقتين بالدموع. فقال: «هل هذا يعني انك سامحتني؟»

هزت رأسها قائلة: «ليس هناك ما يستوجب المسامحة.»

ذكرها بنعومة: «حتى ما فعلته بك الليلة الماضية؟»

أجابت والدمع يتلألأ في عينيها: «عرفت ذلك. عرفت أنك بقيت هنا لأجل هذا. كنت تهم بالسفر. لا تحاول أن تنكر. ما الذي غير رأيك إذاً؟»

تراجع ناتان خطوة دون أن يفلتها. بقي يحاصرها بين ذراعيه الممدودتين وهي تتململ تحت نظراته الثاقبة.

اعترف متنهداً: «حسناً. أنت على حق، كنت قد حضرت حقائبي استعداداً للسفر على امل العودة للتصالح معك. أردت السفر، ليس لأنني غير مهتم بك. عليك أن تعرفي ما هو أخطر من هذا. أردت أن اهرب لأني كنت خائفاً أن اخبرك بحقيقة مشاعري.»

www.rewity.com

«لا... أصدقك.»

«لِمَ لا؟»

هزت رأسها قائلة: «أنت لا تخاف من شيء»

«تظنين ذلك؟ سوف تفاجئين لو تعلمين حقاً.»

تنهدت وقالت مشككة: «لا تضحك عليّ يا ناتان. حسناً، ما زلت أحبك. أهذا ما أردت أن تسمعه؟»

«أريد أن أسمع أكثر من هذا بكثير. أريد أن اسمعك تقولين انك ستتزوجين مني، وأنك لن تطلبي من أمك أن تكون الشاهد في عرسك!»

افلتت انديا من يديه وقفزت بخفة إلى الناحية الثانية من الغرفة كأنها غير مصدقة هذه المفاجأة، التي كانت حتى هذه اللحظة مجرد حلم. رفعت يديها معترضة: «لست مضطراً لأن تفعل هذا، يا ناتان. هذا... لطف منك، وأنا... اقدر شهامتك، لكن...»

استدار ناتان نحوها مستندا بكتفيه إلى الباب. مصرحاً بقوله: «كم مرة يجب أن أؤكد لك يا انديا أنني لا افعل هذا اكراماً لك. إني افعله من كل قلبي، لأنني... احبك. كنت دائماً في فكري طيلة مدة افتراقنا. لكن انا افهم انك صدمت بما جرى بيني وبين أمك آنذاك وصار صعبا عليك أن تثقي بي أو باي انسان آخر بعد ذلك.»

«حسناً، أنت تهتم بي. لكنك لست مضطراً للزواج مني.»

«بل أنا راغب ومضطر لذلك.» اندفع ناتان نحوها، لكنها لم تتراجع هذه المرة. همس في أذنها: «لن أفكر بأية امرأة أخرى. ستكونين زوجتي قريباً. لا تنسي ذلك.»

بعد قليل بدأ بمداعبة شعرها برفق قائلاً: «أظن أنني

الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يؤكد أن احمرار شعرك طبيعي وليس صبغاً.» ونثر خصلات شعرها فوق كتفيها.

أدارت وجهها متظاهرة بالانزعاج: «إن في قولك هذا الكثير من الزهو.»

«لم افكر في ذلك من قبل. لكني معتد بنفسي. انه شعور طيب حقاً. تعودت أن افكر بك كزوجة عتيدة، حولك العديد من الأولاد. والآن اعرف لماذا شعرت كأنني تلقيت صفعة على خدي.»

أطلقت انديا تنهيده مرتعشة. «أمتأكد انت أن هذا هو ما تريده حقاً؟»

«كل التأكيد.»

«لكن لا بد انك عرفت نساء اخريات...»

«أجل.»

«حسناً، إذاً، لماذا...؟»

«لماذا اخترتك؟» أكمل عنها ثم أجاب: «لأن كل النساء الآخريات لا يعنين لي شيئاً سوى الضياع. معك أنت يختلف الأمر. لا تسأليني لماذا.»

«أوه يا ناتان!»

«أجل يا عزيزتي لكن النساء الأخريات لا يعنين لي شيئاً. الليلة الماضية تأكدت من شعوري هذا نحوك على أقوى واوضح ما يكون، بعد أن حاولت تجاهله عبثا منذ عودتي إلى الجزيرة. قلت لنفسي: لا يمكن ان أحب واحدة لا تثق بي على الأقل. مع ذلك لم يكن في امكاني أن اتركك وحدك يا صغيرتي. عندها علمت انني في ورطة خطيرة يسمونها الحب.»

تمتمت انديا: «حسناً، لقد اقنعتني. سوف أبقى.»

بدا أن هذه الكلمة لم ترض ناتان الذي استمر محدقاً فيها، فأضافت: «سأبقى في الجزيرة أفعل ما تريد. مرني فقط فأنفذ.»

«آه! يا عزيزتي. نسيت أن اخبرك انني اسكن في نيويورك. هل عندك مانع في مرافقتي إلى هناك.»

حلقت الطائرة الصغيرة فوق الجزيرة واستدارت انديا نحو ناتان الغارق في مقعده بجانبها.

قالت: «وصلنا تقريباً.» وادارت يدها برفق حول استدارة بطنها المنتفخة واضافت: «اظن أن ابنك أصبح عديم الصبر.»

انحنى ناتان فوقها ومرّر يده حول ابنه القابع في احشائها. وقال موشوشاً: «ما رأيك لو اخبرتك أن أباه ايضاً بدأ يفقد صبره. لا تنسي انني كنت موجوداً في بريتش كولومبيا طيلة الأسبوع الماضي. شعرت كأنني غبت عنك دهراً.»

قالت مسرورة لمغازلته ولعلمها بشوقه المتجدد إليها: «عزيزي، لا تنظر اليّ هكذا. بالتأكيد ستظن ايلينا انك مجنون.»

أجاب دون أن يلتفت إلى المضيفة: «إلى الجحيم ايلينا وما تفكر فيه، أنا مع زوجتي الآن وسأنظر إليها كما يحلو لي.»

ابتسمت انديا. لكن نظرات ناتان النهمة كانت تقلقها، فالتفتت إلى نافذة الطائرة. اصبح في امكانها الآن ان ترى جدران الأبنية الجديدة التي بدأت ترتفع إلى جانب المرفأ. لقد تمكن ناتان وغريغ، خلال اثني عشر شهراً من انجاز قسم مهم من مشروع توسيع الفندق. وهما الآن في الجزيرة للاحتفال باعادة افتتاحه.

أضاف ناتان بشيء من الارتياح: «على كل حال، فإن وجود غريغ هنا. سيشغل آديل بالتأكيد فيخلو لنا الجو.»

رفع شعر زوجته الطويل وطبع قبلة رطبة على رقبتها. ثم أضاف: «آخر مرة تحدثت مع غريغ قال انه منسجم تماماً مع آديل، أتعلمين، ربما كان هو الرجل الذي تحتاجه أمك بالضبط، لا ينساق بسهولة في الاعيبها ويمكن أن تجد فيه التحدي المطلوب.»

هزت انديا كتفيها بشيء من اللامبالاة وقالت: «قد تكون على حق. مع أنه لا يمكنني القول انني متحمسة للمشروع، لكن يبدو أن علمها بأنها على وشك أن تصبح جدة جعلها تخفف من آلاعيبها وطيشها...»

هز ناتان رأسه متذكراً رسالة أبيه التي كان قد مزقها بعد الزواج. كان قد فكر ملياً برسالة آرون، لكنه قرر اخيراً أن انديا لا تستحق ان يحملها هما إضافياً.

فضلاً عن ذلك فوالده قد مات، وكما قال، فإن اخطاءه وأخطاء آديل ماتت معه. وحظي ناتان بالمرأة التي يحب فبإمكانه الآن ان يظهر نبلاً وتسامحاً.

شعرت انديا بما كان يشغل بال زوجها في هذه اللحظة فالتفتت إليه بفضول: «ما الذي يزعجك يا عزيزي؟»

«لا شيء يا عزيزتي. اني أفكر فقط كم أحببتك وكم سأحبك أكثر. ذكريني لاحقاً أن اخبرك عن ذلك.»

ذكرته بالفعل، مساء، بعد أن اصبحا في غرفة النوم.

تمت